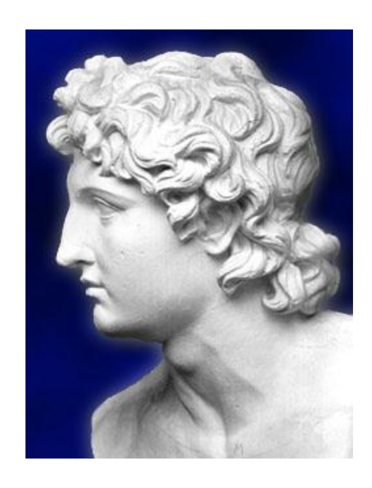
الإسكندر الأكبر

أسطورة كل زمان



تأليف
عصام عبد الفتاح

جزيرة الورد للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب : الإسكندر الأكبر – أسطورة كل زمان !!
المــــــؤلف : عصام عبد الفتاح
رقم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الناشر : مكتبة جزيرة الورد
٤ ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي- - شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا . ت: ٠٢ /٢٧٨٧٧٥٧٤
محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

المقدمة

هل هناك بين صفحات التاريخ من هو أكثر شهرة من «الإسكندر الأكبر»؟

هل هناك قائد.. أو ملك آخر حير العالم.. حياً.. وميتاً.. أكثر منه؟

هل هناك اسم يثير الفضول.. ويشعل الرغبة في التقصي.. أكثر من اسمه؟

لا..

فهو حالة استثنائية باعتباره أحد فلتات.. وأساطير.. وعباقرة التاريخ.. وفوق كل هذا هو أحد معضلات الزمان التى تعصى عن الحل..

إذا تحدثنا عنه باعتبار أنه ذلك الشخص الذى تصنفه كُتب التاريخ باعتباره أعظم قواد البشرية.. فسنقول أنه كان يلقب بذلك لكونه الرجل الذي لم يعرف طعم الهزيمة قط.. رغم كثرة ما خاض من معارك هائلة..

وإذا تحدثنا عنه كإنسان فسنقول : أنه لم يكن مجرد شاب وسيم.. أو قائد عبقري.. يعشق الحرب والقتال.. ويلهث دائماً وراء ضم المزيد من الدول لحدود إمبراطوريته.. إنما كان أيضاً صاحب عبقرية سياسية متميزة.. فأضحى كما قلنا حالة تاريخية متفردة.. وأسطورة تأبى الانزواء في أركان التاريخ.. أو بين زوايا النسيان..

هذا كله بالرغم من كونه لم يعش أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً فقط.. فماذا لو قُدِرَ له العيش أكثر.. ربما كان سيتمكن من حكم العالم أجمع لا محالة..

والحديث عن «الإسكندر الأكبر» يشبه إلى حدٍ كبير الحديث عن أبطال الأساطير مع فارق بسيط.. فالإسكندر شخصية واقعية لا جدالً في ذلك.. بينما أبطال الأساطير خُلِقواُ فقط من وحي الخيال..

وبداية تدشين أسطورة الإسكندر جاءت مباشرةً عقب اغتيال والده «فيليب» حاكم مقدونيا حيث تعرضت مملكته للعديد من الفتن والاضطرابات في بلاد التي كان يحكمها والده بالحديد.. والنار.. ولكن حزْم الإسكندر ومقدرته العسكرية والسياسية.. وَأَدَتْ تلك الفتن في مهدها ودانت بلاد الإغريق للإسكندر بالولاء التام ..

ومن موطنه.. ومملكة أبيه مقدونيا.. كون الإسكندر جيشاً.. قوياً.. منظماً.. ليبدأ مشروعه الإمبراطوري في التوسع والاستيلاء علي الدول المجاورة.. ليحقق أطماعه أن يكون سيداً علي العالم أولاً.. ثم ينشر ثقافة بلاده.. وحضارتها الإغريقية التي كان يؤمن بها أشد الإيمان ..

وبعد عدة فتوحات متتالية.. أصبح الإسكندر ـ وهو ما زال بعد في صدر شبابه ـ قائداً عسكرياً لا يُنافس.. وأصبحت صورته في العالم صورة القائد الشاب المنتصر دائماً ..

ومن نصرٍ إلي نصر تنقل الإسكندر.. واستطاع القضاء علي إمبراطورية الفرس.. كما استولي علي ًمصر والهند.. وكان من أطماعه أن يُكَوِنْ أعظم أسطول في العالم.. وأن يخضع العالم لسطوة حكمه..

ولم تنحصر أهداف الإسكندر في السيادة العسكرية فحسب.. بل كان من أهدافه استكشاف المناطق جديدها.. وقديمها.. ثم استعمارها والاستقرار فيها.. وتساوى عنده الغزو العسكري.. مع حسن القيادة.. والفن والتجارة.. والتقدم التقني والعلمي.. وفي هذا الشأن فاق الإسكندر كل من سبقوه.. فاقهم بالاستفادة الكاملة مما تركوه له.. ومما ورثه عن الحضارة الإغريقية..

ولكنه بالرغم من كل ذلك كان إنساناً فيه كل فضائل الإنسان ونقائصه.. فهو رجل قتل أصدقاءه عندما غاب عقله بفعل الخمر.. كما كان يقتل أعداءه بالآلاف وهو في كامل عقله.. ترددت حوله أقاويل كثيرة لعل أبشعها كان اشتراكه في مؤامرة لقتل والده.. وسواء اشترك بالفعل.. أم لم يشترك في تلك المؤامرة فإن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً ..

وبعد أن كون الإسكندر إمبراطوريته الهائلة.. مات ٣٢٣ عام (ق.. م) بعد أن أقام وليمة شراب في بابل وشرب فيها حتى الثمالة.. وقيل أن قادته تآمروا عليه.. ودسوا له السم في الشراب.. ومثلما كان محيراً في حياته.. أصبحت مسألة موته.. والطريق إلى قبره إحدي المعضلات التى فشل علماء التاريخ والآثار في الإجابة عنها .

وبعد موته سرعان ما تمزقت هذه الإمبراطورية إرباً.. وقبض سلوقوس أحد قواده علي معظم أرجاء الإمبراطورية الفارسية من السند إلي أفيسوس.. واستولي علي مصر قائدٌ آخر هو بطليموس.. كما اختار مقدونيا قائدٌ آخر اسمه انتيجوناس.. أما بقية الإمبراطورية فإنها رزحت تحت غمرات الفوضي وعدم الاستقرار.. وأخذت تنتقل إلي أيدي مجموعة متعاقبة من المغامرين المحليين.. وابتدأت غارات البرابرة من الشمال وأخذت تتسع وتزداد حدة.. حتي انتهى الأمر بظهور قوة جديدة هي الإمبراطورية الرومانية التي جاءت من الغرب وأخذت تُخضِع لسلطانها الجزء تلو الآخر إلي أن ربطت بينها جميعا إمبراطورية جيدة أطول عمراً..

ومن خلال كل ذلك تحول « الإسكندر » إلى أسطورة تأبى أن تموت.. أسطورة تستحق أن نطلق عليها « أسطورة كل زمان ».. وخلال الصفحات القادمة نعيش بين ثنايا تلك الأسطورة.. نركب زورق الحكاية.. ونرحل عبر دهاليز الزمان.. لنقفز للخلف عشرات القرون.. ونتوقف عند مرفأ الإسكندر.. لنعرف حكايته..

عصام عبد الفتاح

Elbtrawy a yahoo . com

تمهيد : العالم ومجئ الإسكندر

كيف كان حال العالم عندما بدأ القرن الثالث قبل الميلاد يفتح أولى صفحاته.. لتخط يد التاريخ أول حروف أحداثه.. وحيث وُلِدَ الإسكندر؟

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم

«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين»

وكان من حكمة الله في خلقه آنذاك أن تدين الأمم في تلك العصور بأشكال عديدة من الوثنية التى قامت عليها ثقافات مختلفة.. وشُيِدَتْ حضارات لا تزال آثارها تقص أخبارها..

والمصادر التاريخية.. وعلماء الآثار يرسمون لنا صورة عالم ملامحه تسير بخطى وئيدة وبطيئة على درب التحضر.. والعلم.. معظم شعوب العالم كانت عبارة عن تجمعات بشرية تأخذ شكل القبيلة أحياناً.. والعشائر أحياناً أخرى.. وبين هذا.. وذاك لا شكل أممي يربط بينها بالصورة المتعارف عليها اليوم.. وذلك بالطبع باستثناء بعض الحضارات الأخرى التى سنتحدث عنها هنا بإسهاب وتمثلت تلك الحضارات في

ـ الحضارة الفرعونية..

ـ الحضارة الفارسية..

ـ حضارة بلاد الصين..

ـ ثم حضارة أثينا.. حيث بلاد الإغريق التى كانت عندما جاء الإسكندر إلى الدنيا تشهد أوج عظمتها الحضارية والفكرية.. بجانب التألق العسكري الذي كانت تعيشه تلك البلاد على يد« فيليب » أبي الإسكندر.. وهي نهضة حضارية كانت.. ومازالت تبهر العالم الذي قدمت له أبرز نماذج الفكر.. والفلسفة عبر التاريخ الإنساني كله..

أ- المصريون القدماء:

حضارة قدماء المصريين أو الحضارة الفرعونية هي الحضارة التي قامت في مصر تحت حكم الأسر الفرعونية المختلفة منذ فجر التاريخ وحتي الغزو الروماني لمصر على مدى ٣٠٠٠ سنة..

وكانت حضارة قدماء المصريين فلتة حضارية في عمر الزمن.. لأن حضارتهم كانت منفردة بسماتها الحضارية وإنجازاتها الضخمة وأصالتها.. وهذا ما أضفي عليها مصداقية الأصالة بين كل الحضارات.. مما جعلها أم حضارات الدنيا بلا منازع.. وهذه الحضارةوالأكثر مكوثا وابهارا وشهرة بين حضارات الأقدمين.. فلقد قامت حضارة قدماء المصريين The Ancient Egyptians Civilization بطول نهر النيل بشمال شرق أفريقيا منذ سنة ٥٠٠٠ ق.. م.. إلي سنة ٣٠ ق.. م.. وهي أطول الحضارات استمرارية في بالعالم القديم..

ويقصد بالحضارة المصرية القديمة من الناحية الجغرافية تلك الحضارة التي نبعت بالوادي ودلتا النيل حيث كان يعيش المصريون القدماء.. ومن الناحية الثقافية تشير كلمة الحضارة للغتهم وعباداتهم وعاداتهم وتنظيمهم لحياتهم وإدارة شئونهم الحياتية والإدارية ومفهومهم للطبيعة من حولهم وتعاملهم مع الشعوب المجاورة .

وينبع نهر النيل الذي تدور حوله حضارة قدماء المصريين من فوق هضاب الحبشة بشرق أفريقيا ثم منابع النيل بجنوب السودان متجها من السودان شمالاً لمصر ليأتي الفيضان كل عام ليغذي التربة بالطمي. وهذه الظاهرة الفيضانية الطبيعية جعلت اقتصاد مصر في تنام متجدد معتمدًا أساسًا على الزراعة.. ومما ساعد عل ظهور الحضارة أيضًا خلو السماء من الغيوم وسطوع الشمس المشرقة تقريبا طوال العام لتمد المصريين القدماء يالدفء والضوء.. ولتصبح مصر محمية من الجيران بالصحراء بالغرب والبحر من الشمال والشرق ووجود الشلالات (الجنادل) جنوبًا بالنوبة على النيل مما جعلها أرضًا شبه مهجورة.. وفي هذه الأرض ظهر اثنان من عجائب الدنيا السبع.. وهما الأهرامات بالجيزة ومنارة الإسكندرية.. وكانت نبتة أقدم موقع أثري بالنوبة.. وكان منذ ٦٠٠٠ سنة منطقة رعوية تسقط بها الأمطار الصيفية وترعي بها الماشية حتي منذ ٤٨٩٩ سنة عندما انحسرت عنها الأمطار.. اكتشف بها دوائر حجرية وقد قام بالمنطقة مجتمعات سكانية من بينها قرية كان يمدها ١٨ بئر بالمياه تحت سطح بلاطات بناء ميجوليثي كبير عبارة عن تمثال يشبه بقرة نحت من صخرة كبيرة.. وكانت تتكون القرية من ١٨ بيتًا.. وبها مدافن كثيرة للمواشي حيث عثر علي هياكلها في غرف من الطين.. وهذا يدل علي أن السكان كانوا يعبدون البقر.

ووجدت مواقد كانت تستعمل.. وعظام غزلان وأرانب برية وشقف فخار وقشر بيض نعام مزخرف.. لكن لايوجد مدافن أو مخلفات بشرية في نبتة.. وهذا يدل أن البدو كانوا رحلاً يأتون لنبتة كل صيف حيث الماء والكلأ.. والزواج والتجارة وإقامة الطقوس الدينية..

في مجال علوم الفلك نجد أن قدماء المصريين قد أقاموا أقدم مرصد في العالم وقبل عصر بناء الأهرامات منذ فترة زمنية حسب الشمس والنجوم حيث أقاموا الشواهد الحجرية ميجاليثات Megaliths.. وهي عبارة عن دائرة من الحجر أقيمت منذ ٧٠٠٠ سنة في الصحراء الجنوبية بمصر.. قبل إقامة مواقع الميجاليثات بإنجلترا وبريطانيا وأوروبا بألف سنة كموقع ستونهنج الشهيرة..

وقد اكتشف موقع نبتة منذ عدة سنوات وهو يتكون من دائرة حجرية صغيرة.. وبه عظام ماشية وخمس خطوط من الحجارة المائلة والبلاطات الحجربة التي كشف عنها مائلة على بعد ميل من الموقع وبعضها بارتفاع ٩ قدم.. وكل بلاطة مدفونة بالتربة هي فوق صخرة منبسطة.. وهذا الموقع يتجه للجهات الأصلية الأربعة ويحدد الاعتدال الشمسي.. وبالموقع دائرة حجرية صغيرة بها عظام الماشية وخمسة خطوط من ميجوليثات مائلة.. وكان هذا الموقع قد بني علي شاطيء بحيرة يتجمع بها ماء المطر صيفاً وقتها.. حيث كانت قطعان المواشي تُقاد إلى نبتة في العصر الحجري الحديث منذ ١٠ آلاف سنة.. وكان البدو الرعاة يفدون إليها في موسم أمطار حتي منذ ٤٨٠٠ سنة حيث انحسرت الرياح الموسمية باتجاه جنوب غلاب لتصبح المنطقة جرداء.. وكانت هذه الدائرة الصغيرة وقطرها ١٢ قدم تضم أربعة مجموعات من البلاطات القائمة حيث يمكن رؤية الأفق.. وكانت مجموعتان تتجهان ناحية الشمال والجنوب والمجموعتان الأخريتان تتجها ناحية أفق الاعتدال الشمسي الصيفي.. وسلالة هؤلاء بعد ٢٠٠٠ سنة قد نزحوا إلى وادي النيل وأقاموا الحضارة المصرية القديمة ولاسيما بعدما أقفرت هذه المنطقة الرعوية وتغير مناخها.. واستقروا سنة ٤٠٠٠ ق.. م.. بمصر العليا ولاسيما في نيخن القديمة ونقادة وأبيدوس .. وهذا الاستقرار المكاني جعل قدماء المصريين يبدعون حضارتهم ومدنيتهم فوق أرضهم.. فأوجدوا العلوم والآداب والتقاليد والعادات والكتابات والقصص والأساطير وتركوا من بعدهم تسجيلات جدارية ومخطوطة على البردي لتأصيل هذه الحضارة المبتكرة.. فشيدوا البنايات الضخمة كالأهرامات والمعابد والمقابر التي تحدت الزمن.. علاوة علي المخطوطات والرسومات والنقوشات والصور الملونة والتي ظلت حتى اليوم..

وكانوا يعالجون نبات البردي ليصنعوا منه أطماره الرقيقة وليكتبوا عليها تاريخهم وعلومهم وعاداتهم لتكون رسالة لأحفادهم وللعالم أجمع.. فكانوا يكتبون عليها باللغة الهيروغليفية .. وابتدعوا مفاهيم في الحساب والهندسة ودرسوا الطب وطب الأسنان وعملوا لهم التقويم الزمني حسب ملاحظاتهم للشمس والنجوم.. ورغم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون آلهة عديدة إلا أن دعوة التوحيد الإلهي ظهرت علي يد الملك إخناتون كسمة عقائدية.. كما أنهم أول من صوروابتدع عقيدة الحياة الآخرة.. وهذه المفاهيم لم تكن موجودة لدي بقية الشعوب.. وبنوا المقابر المزينة والمزخرفة وقاموا بتأثيثها ليعيشوا بها عيشة أبدية.. وكانت مصر القوة العظمي بالعالم القديم وكان تأثيرها السياسي في أحيان كثيرة يمتد نفوذه لدول الجوار شرقًا في آسيا وغربًا بأفريقيا.. وجنوبًا بالنوبة وبلاد بونت بالصومال.. وكان قدماء المصريين يطلقون علي أرضهم كيمت Kemet أي الأرض السوداء لأن النيل يمدها بالطمي

وكان يطلق عليها أيضا ديشرت **Deshret** أي الأرض الحمراء إشارة للون رمال الصحراء التي تحترق تحت أشعة الشمس.. وكانت وفرة مياه الفيضان قد جعلهم يقيمون شبكة للري والزراعة وصنعوا القوارب للملاحة والنقل وصيد الأسماك من النهر.. وأعطتهم الأرض المعادن والجواهر النفيسة كالذهب والفضة والنحاس.. وكانوا يتبادلون السلع مع دول الجوار.. وتاريخ مصر نجده يبدأ منذ سنة ٨٠٠٠ ق.. م.. في منطقة جنوب شرق مصر عند الحدود السودانية الشمالية الشرقية.. وقد جاءها قوم رعاة وكانت هذه المنطقة منطقة جذب حيث كان بها سهول حشاشية للرعي ومناخها مضياف وكان بها بحيرات من مياه الأمطار الموسمية.. وآثارهم تدل علي أنهم كانوا مستوطنين هناك يرعون الماشية.. وخلفوا من بعدهم بنايات ضخمة في سنة ٦٠٠٠ ق.. م.

وقد بدأت الزراعة في بلدة البداري منذ ستة ٥٠٠٠ ق.. م.. وكان بالفيوم مستوطنين يزرعون قبل البداري بألف سنة.. وكانت مدينة مرميد بالدلتا علي حدودها الغربية منذ سنة ٤٥٠٠ ق.. م.. وفي مدينة بوتو ظهرت صناعة الفخار المزخرف بشكل يختلف عن طراز الفخار في مصر العليا.. وكان هناك اختلاف بين المصريين القدماء ما بين مصر العليا ومصر السفلي في العقيدة وطريقة دفن الموتي والعمارة.. وجاء الملك مينا عام ٣١٠٠ ق.. م.. ووحد القطرين (مصر العليا ومصر السفلي).. وكان يضع علي رأسه التاجين الأبيض يرمز للوجه القبلي والأحمر للوجه البحري.. وجعل الملك مينا منف **Memphis** العاصمة الموحدة وكانت تقع غرب النيل عند الجيزة وأبيدوس المقبرة الملكية والتي انتقلت لسقارة إبان عصر المملكة القديمة.. وكان عدد سكان مصر قبل عصر الأسرات لا يتعدى مئات الالآف وأثناء المملكة القديمة بلغ عددهم ٢مليون نسمة وإبان المملكة الوسطي زاد العدد وأثناء المملكة الحديثة بلغ العددمن ٣- ٤مليون نسمة.. وفي العصر الهيليني بلغ العدد ٧مليون نسمة.. وبعدها دخلت مصر العصر الروماني.. وكان المصريون يجاورون النهر.. لأنها مجتمع زراعي وكانت منف وطيبة مركزين هامين عندما كانت كل منهما العاصمة.. والتعليم والكتابة كان مستقلاً في مصر القديمة وكانت الكتابة والقراءة محدودتين بين نسبة صغيرة من الصفوة الحاكمة أو الكتبة في الجهاز الإداري.. وكان أبناء الأسرة المالكة والصفوة الحاكمة يتعلمون بالقصر.. وبينما أبناء الشعب كانوا يتعلمون في مدارس المعابد أو في المنازل.. وكان تعليم البنات قاصرً علي الكتابة والقراءة بالبيت.. وكان المدرسون صارمين وغالبًا ما يستعملون الضرب.. وكانت الكتب المدرسية تعلم القراءة والكتابة وكتابة الرسائل والنصوص الأخرى.. وكانت المخطوطات تحفظ في بيت الحياة وهو دار الحفظ في كل معبد وهو أشبه بالمكتبة.. وكان المتعلمون في مصر القديمة يدرسون الحساب والهندسة والكسور والجمع والطب.. ووجِدَتْ كتبٌ في الطب الباطني والجراحة والعلاج الصيدلاني والبيطرة وطب الأسنان.. وكانت كل الكتب تنسخ بما فيها كتب الأدب والنصوص الدينية..

وكان حجر رشيد الذى يرجع تاريخ نقشه إلى عام ١٩٦ ق.. م قد اكتشف عام ١٧٩٩ أبان الحملة الفرنسية وعليه ثلاث لغات الهيروغليفية والديموطقية (القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين) والإغريقية.. وكان وقت اكتشافه لغزاً لغوياً لا يفسر منذ مئات السنين.. لأن اللغتين الأولتين كانتا وقتها من اللغات الميتة.. حتي جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص الإغريقي ونصوص هيروغليفية أخرى.. وهذا يدل علي أن هذه اللغات كانت سائدة إبان حكم البطالمة الإغريق لمصر لأكثر من ١٥٠ عامًا.. وكانت الهيروغليفية لغة دينية متداولة في المعابد واللغة الديموطيقية كانت لغة الكتابة الشعبية والإغريقية لغة الحكام الإغريق.. وكان محتوي الكتابة تمجيدًا لفرعون وإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر.. وقد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة.. واستطاع شامبليون فك شفرة الهيروغليفية عام ١٨٢٢ ليفتح أفاق التعرف علي حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم إثر مواتها عبر القرون.. وكانت الهيروغليفية وأبجديتها تدرس لكل من يريد دراسة علوم المصريات.. ثم تطورت الهيروغليفية للهيراطقية ثم للديموطقية ثم للقبطية.

وكان لقدماء المصريين تقويمهم الزمني منذ مرحلة مبكرة وكان يعتمد علي ملاحظانهم للشمس والنجوم بالسماء ومواعيد فيضان النيل في كل عام.. وكانوا يستعملون تقويمهم في تسجيل الأحداث التاريخية وجدولة أعيادهم وتأريخ القرارات الملكية.. وكان أول محاولة لصنع تقويم عام ٨٠٠٠ ق.. م.. عندما صنع الدوائر الحجرية في ركن بأقصي جنوب غربي مصر حاليًا.. وكانت تستخدم لمراقبة النجوم وحركاتها.. وقسموا اليوم ٢٤ ساعة والأسبوع ١٠ أيام والشهر ٣ أسابيع أو ٣٠ يوم.. والسنة ١٢ شهر.. وكانت تقسم لثلاثة فصول كل فصل ٤ شهور.. بما يعادل ٣٦٠ يوم.. وكان قدماء المصريين يضيفون بعدها ٥لمجمل السنة أيام كل يوم من هذه الأيام الخمسة يشير لعيد ميلاد إله.. وبهذا تكون السنة الفرعونية كاملة ٣٦٥ يوم.. وهي تقريبًا تقارب السنة الشمسية حاليًا ماعدا ربع يوم الفرق في كل سنة شمسية ولم يكن يعرفون إضافة يوم كل ٤ سنوات.

وقام قدماء المصريين بالعديد من الأعمال الإبداعية المبتكرة والمذهلة للعالم سواء في التحنيط والموسيقى والنحت والأدب والرسم والعمارة والدراما.. وبعد توحيدها أيام مينا أصبحت العقيدة الدينية لها سمات رسمية من التعددية قي الآلهة والإلهيات وكانت البيئة لها تأثيرها علي الفكر الديني والعبادات الفرعونية حيث إتخذت الآلهة أشكالًا بشرية أو حيوانية أو خليطًا منها.. وهذه الأشكال جسد فيها قدماء المصريين قوي الطبيعة وعناصرها.. وقاموا بتأليف الأساطير والقصص حول آلهتهم وعالمهم لفهم التداخل المعقد في الكون من حولهم. ولعبت العقيدة الدينية دورًا كبيراً في حياتهم

وكان لها تأثيرها علي فنونهم وعلي فكرهم عن الحياة الأخروية وفكرة البعث والنشور وعلاقاتهم بحكامهم.. وشاع لديهم الفن التشكيلي كالنحت والرسم بالأبعاد الثنائية علي جدران المعابد والمقابر وأكفان الموتي وتوابيت الموتي وورق البردي..

وكان الفنانون المصريون يجسمون الصور الشخصية بملامحها التعبيرية مراعين معدل الزمن والفراغ في هذه الصور لتعبر عن الخلودمن خلال الرسومات الهيروغليفية التي تصاحبها وتكون جزءًا من العمل الفني الرائع.. وكان يوضع اسم صاحب التمثال علي القاعدة أو بجانبه.

وكذلك نجد الأهرامات تعبر عن عظمة العمارة لدي قدماء المصريين.. وهي تمثل التل البدائي لأصل الحياة في أساطير الخلق أو تمثل أشعة الشمس القوية.. ولقد بنوا حوالي ١٠٠ هرم كملاذ وبيت راحة لحكامهم بعد الموت.. وكانت المعابد مربعة الشكل باتجاه شرق غرب علي خط شروق وغروب الشمس.. وكان قدماء المصريين يعتقدون أن نموذج المعبد الذي يبنيه البشر يمكن أن يكون بيئة طبيعية مناسبة للآلهة.. وقد استفاد الأغريق من قدماء المصريين في النحت والعمارة والفلسفة والإلهيات .. فلقد كان المصريون القدماء سادة فنون الأعمال الحجرية والمعدنية وصنع الزجاج العادي والملون.. وكشف التنقيب عن آثار عصر ماقبل التاريخ بمصر منذ ٦٠٠٠ سنة ق.. م.. وجود مواقع أثرية علي حدود مصر الجنوبية مع السودان حيث عثر بها علي أماكن دفن وإقامة الأعياد والإحتفالات ومقابر للماشية مما يدل علي تقديسها.. وعُثِر بالمقابر البشرية علي مشغولات يدوية وأسلحة وأوان ترجع لهذه الحقبة مما يدل علي وجود عقيدة ما بعد الموت.. وكانت عقيدة قدماء المصريين تقوم علي الشمس ممثلة في عقيدة رع وحورس وأتون وخبري.. والقمر ممثلاً في عقيدة توت وخونسو والأرض ممثلة في عقيدة جيب.. وكانت نوت ربة السماء وشوو تفنوت إلها الريح والرطوبة.. وأوزوريس وإيزيس حكام العالم السفلي.. ومعظم هذه الآلهة دارت حولهم الأساطير.. وأصبح رع وآمون بعد اندماجهما يمثلان عقيدة آمون - رع كملك الآلهة.

وكان هناك آلهة محلية تُعبد خاصة بكل إقليم بمصر.. وكان الملك الكاهن الأكبر يمارس الطقوس في الأعياد والكهنة كانوا يؤدونها في الأيام العادية بالمعابد.. وكان عامة الشعب لايدخلونها إلا لخدمتها.. وكان المصريون يهتمون بالحياة بعد الموت ويقيمون المقابر ويزينونها ويجهزونا بالصور والأثاث.. وكانوا بعد الموت يهتمون بتحنيط الميت.. يضعون في الأكفان التعاويذ والأحجبة حول المومياء.. وكانوا يكتبون نصوصًا سحرية فوق قماشة أو علي جدران المقبرة وأوراق البردي لتدفن معه.. وكانت هذه النصوص للحماية ومرشدًا له في العالم السفلي.

وفي مصر القديمة كان الملك هو الحاكم المطلق والقائد الروحي والصلة بين الشعب والآلهة.. وكان يعاونه الوزير والجهاز الإداري ويتبعه الكهان.. وكان الملك قائد الجيش وقواده وكان جنود الجيش من المصريين قي عمر الخامسة والعشرين حتى اربعين عام.. وكان الحكم وراثيًا بين الأبناء في معظم الوقت باستثناء حورمحب (١٣١٩ ق.. م..)الذي كان قائدًا ورمسيس الأول الذي خلفه لم يكن من الدم الملكي.. وقلما كانت امرأة تحكم مصر ماعدا حتشبسوت التي حكمت في الأسرة ١٨ بعد وفاة زوجها تحتمس الثاني عام ١٤٧٩ ق.. م.. وتقاسمت الحكم مع تحتمس الثالث.. وكان المصريون يعتقدون أن مركز الملك إلهي والملك إله.. وبعد موته تؤدي له الطقوس ليظل إله.. وكان يلقب عادة بمالك وملك الأرضين مصر العليا ومصر السفلي (الدلتا بالشمال والوادي بالجنوب.. وكان اقتصاد مصر قائم على الزراعة معتمدة علي النيل الذي كان يمد مصر بالمياه والمحاصيل المتنوعة كالحبوب ولاسيما الشعير والقمح والفاكهة والخضروات.. ومعظم الأراضي الزراعية كانت ملكًا للملك والمعابد.. وكان الشادوف وسيلة الري بعد انحسار الفيضان.. ولقد اكتُشفت مومياوات عديدة محفوظة تم العثور عليها في كل أنحاء العالم بكل القارات حيث اتبع التحنيط **mummification** بكل القارات.. وكلمة مومياء أصلها الكلمة الهيروغليفيه «مم»التي تعني شمع أو القار والذي كان يستخدم في عمليات التحنيط.. وقد اشتُقت منها لاحقًا الكلمه **Mummy** وانتشرت بعد ذلك إلى اللغات الهندواوروبية.. وهذه الكلمة مومياء تطبق علي كل البقايا البشرية من أنسجة طرية.. وكما قلنا فإن التحنيط قد يكون موجودًا في كل قارة لكن الطريقة ترتبط بطريقة قدماء المصريين لهذا ينسب إليهم.. وكانت أول دراسة للمومياوات كانت في القرن ١٩..

وقد عبد قدماء المصريين العديد من الآلهة من بينها إله الشمس الذي يهديهم في زعمهم إلى سواء السبيل لأنه كما اعتقدوا ذلك ينير لهم دنياهم ويكشف الظلمات عنهم.. وكذلك إله وادي النيل الذي يأتيهم برزقهم على مدى السنين إذ يسقى لهم الأراضي القاحلة فتحيى بعد موتها.. واتخذوا لآلهتهم أسماء مقدسة كانت للعظماء منهم والكبراء أو كانت تدل على ظاهرة قاهرة من ظواهر الطبيعة.. فتلك «إيزيس» وذاك «أوزيريس».. وغير ذلك.. وأقاموا لها التماثيل لتمثل أمام أعينهم على الدوام.. وصنعوا لها أصنامًا من الحجارة لترسخ في أذهانهم وعاداتهم مع مرور الأيام.. ونصبوا لها الأنصاب وأقاموا حولها الشعائر وفرضوا لها المناسك.. وكل ذلك من دواعي الثبات والاستقرار على نمط خاص من الحياة والعبادة.. وشيدوا المعابد الشامخة لمزيد من أسباب التثبيت والتخليد كحفظ التماثيل والأصنام.. وأداء مناسك الحج في المواسم والأعياد.. وكانوا يقدمون إليها أنواعا من القرابين.. تحت إشراف الكهان والرهبان وقَدَسَ الفراعنة أرواحهم وألهوا أنفسهم.. فعبدهم الناس فى حياتهم وبعد مماتهم.. وهونفس الحال في الحضارات القديمة التي نشأت حول دجلة والفرات.

ب-السومريون:

سومر حضارة قديمة في جنوب بلاد الرافدين وقد عرف تاريخها من شظايا الألواح الطينية المدونة بالكتابة المسمارية.. وظهر اسم سومر في بداية الألفية الثالثة ق.. م.. في فترة ظهور الحيثيون لكن بداية السومريين كانت في الألفية السادسة ق.. واستقروا بجنوب العراق وكونوا المدن السومرية الرئيسية كأور ونيبور ولارسا ولجاش وكولاب وكيش وإيزين وإريدو وأدب.. واختلط العبيديون بأهل الشام والجزيرة العربية عن طريق الهجرة أو شن غارات عليهم.. وبعد عام ٣٢٥٠ق.. م.. وكانت خاصة بهم وابتكروا الكتابة علي مخطوطات ألواح الطين.. وظلت الكتابة السومرية ٢٠٠٠ عام لغة الاتصالات الأولى بين دول الشرق الأوسط وقتها.. وخلال القرون التي تلت الهجرة السومرية نمت الدولة وتطورت الفنون والعمارة والعلوم.. ويعتبر الحاكم السومري الملك إيتانا (Etana) ملك مدينة كش أول من وحد بلاد سومر منذ عام ١٨٠٠ق.. م.. وقبل القرن ٢٥ ق.. م.. قامت الإمبراطورية السومرية بقيادة لوجالمند وبمدينة أدب (٢٥٢٥ ق.. م.. – ٢٥٠٠ ق.. م..).. وكانت تمتد من جبال طوروس حتي جبال زاجروس ومن الخليج العربي وحتي البحر الأبيض المتوسط.. وعاشت سومر فترة إضطرابات داخلية حتى القرن ٢٣ ق.. م.. وحتى اجتاحها الملك السامي سارجون الأول (٢٣٣٥ ق.. م.. – ٢٢٧٩ ق.. م..) وأسس عاصمة جديدة سماها آجاد بأقصى شمال بلاد سومر.. وكانت أيامه أقوى وأغنى مدينة في العالم وقتها.. واندمج الغزاة وأهل شمال يلاد سومر وانصهروا مكونين شعب آكاد.. وأصبح يطلق عليها بلاد سومر وآكاد.. واستمر الحكم الآكادي حوالي قرن.. وكان عهد الأكاديين قد إستغرق قرنًا.. أثناء حكم حفيد سارجون الملك نارامسين (٣٣٥٥ ق.. م.. –٢٢١٨ ق..م..) نزح الثوار الجوتيين من جبال زاجروس واستولوا علي مدينة آكاد وبقية سومر.. لكن السومريين بعد عدة أجيال طردوهم.. وحصلت سومر علي استقلالها علي يد ملك مدينة أواروك يوتوهيجال (حكم من ٢١٢٠ ق.. م.. - ٢١١٢ ق..م..).. وأعقبه أحد قواده أور- نامو بالعهد الثالث بمدينة أور.. وخلفه إبنه شلجي (٢٠٩٥ ق.. م.. -٢٠٤٧ ق.. م..).. وكان قائدًا عسكريًا ومصلحًا إجتماعيًا كأبيه وأديبًا.. ووضع قانونا قبل قانون حمورابي بثلاثة قرون.. وفتح المدارس والجامعات.. وفي بداية الألفية الثالثة ق.. م.. جاء العلاميون من وسط سوريا غربي بلاد سومر وأكاد.. واستولوا على أهم مدنها كإيزين وسيركا وأور واسروا حاكمها وسيطروا بشكل كامل مكونيين حضارة امتدت حتى جاء حمورابي ملك بابل وتغلب على العلاميين عام ١٧٦٣ ق.. م.. وأصبح الحاكم الوحيد لبلاد سومر وأكاد بعدما ضمهما لبابل لتظهر الحضارة البابلية.. والحضارة السومرية خلفت آلاف الألواح المسمارية باللغة الأكادية.. ومنذ أوائل الالف الخامس ق..م.. شهد ما بين النهرين السهل الرسوبي في العراق (دلتا الرافدين) الانتقال من القرى الزراعية إلى حياة المدن..

ففي هذا السهل قامت المدن الأولى مثل أريدو وأور والوركاء(وركا).. وفي هذه المدن كانت بدايات التخطيط للسيطرة على الفيضانات.. وإنشاء السدود وحفر القنوات والجداول.. وفي هذا السهل كان يوجد شبكة القنوات التي تعد معجزة من معجزات الري.. مما جعل السومريون هم بناة أقدم حضارة في التاريخ.. وفي حدود سنة ٣٢٠٠ ق.. م.. ابتكر السومريون الكتابة ونشروها في عدة بلدان شرق أوسطية.. وقامت في بلاد سومر أولى المدارس في التاريخ.

وقد عبد السومريون آلهةً كثيرة مثل الشمس والقمر والكواكب..

ج-البابليون:

بابل هي كلمة تعني بالأكّدية (بوابة الإله) كان الفرس يطلقون عليها بابروش دولة بلاد ما بين النهرين القديمة.. وكانت تعرف قديماً ببلاد سومر و كانت تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق.. فظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين ١٨ق.. م.. و٦ ق.. م.. وكانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة.. وبابل دولة أسسها حمورابي عام ١٧٦٣ق.. م.. وهزم آشور عام ١٧٦٠ ق.. م وأصدر قانونه (شريعة حمورابي) وفي عام ١٦٠٣ق.. م..و استولى ملك الحيثيين مارسيليس علي بابل واستولى الآشوريون عليها عام ١٢٤٠ ق.. م.. بمعاونة العلاميين.. وظهر نبوخذنصر كملك لبابل (١٢٤٥ق.. م.. - ١١٠٤ ق.. م..) ودخلها الكلدان عام ٧٢١ ق.. م.. (ثم دمر الآشوريون مدينة بابل عام ٦٨٩ ق.. م.. إلا أن البابليين قاموا بثورة ضد حكامهم الآشوريين عام ٦٥٢ ق.. م.. وقاموا بغزو آشور عام ٦١٢ ق.. م.. واستولى نبوخذنصر الثاني علي أورشليم عام ٥٧٨ ق.. م.. وسبي اليهود عام ٥٨٦ ق.. م.. إلى بابل.. وهزم الفينيقيين عام ٥٨٥ ق.. م.. وبني حدائق بابل المعلقة.. ثم استولى الإمبراطور الفارسي قورش علي بابل عام٥٣٨ ق.. م.. في زمن الملك الكلداني بلشاصر وضمها لإمبراطوريته.. ويعتبر أعظم ملوك بابل هو حمورابي (توفي عام ١٧٥٠ ق.. م..) والذي اشتهر بمجموعة القوانين المعروفة باسمه.. وبعد حمورابي بفترة يسيرة أفل نجم هذه الإمبراطورية لتعود وتزدهر من جديد وتتسع رقعتها فتشمل فلسطين وتبلغ الحدود المصرية وذلك في الفترة التي سيطر خلالها الكلدانيون على بابل ابتداء من عام ٦٢٥ قبل الميلاد.. وأطلق على الإمبراطورية البابلية في هذه المرحلة اسم « الإمبراطورية البابلية المحدثة».. ويعتبر نبوخذ نصرالثاني أعظم ملوك بابل (٦٠٥-٥٦٢ ق.. م..)هذه المرحلة من عهدها الجديد.. وكانت آنذاك مطوقة بأسوار ضخمة ذات أبواب عريضة.. وما هي إلا فترة قصيرة حتى سقطت بابل في يد كورش الثاني ملك الفرس (عام ٥٣٩ق.. م..).. وتعد الحضارة البابلية بشكل عام من أعظم الحضارات القديمة.. وقد حققت إنجازات ذات شأن في الفلك والرياضيات والطب والموسيقى.

د-الآشوريون:

الآشوريون أو الآثوريون استوطنوا القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين العراق وشرق سوريا منذ الألف الثالث ق.. م.. برزوا كقوة منافسة في الشرق القديم في بدايات الألف الأول ق.. م حين استطاع ملكهم أداد نيراري الثاني إخضاع الأقاليم المجاورة.. وتحالف مع بابل.. وبه بدأت الفتوحات الآشورية التي أسست صرح أعظم إمبراطورية في تاريخ الشرق القديم.. وابتداء من زمن حكم هذا الملك أرخ الآشوريون أخبارهم بالطريقة المعروفة باسم « اللمو ».. وهي إعطاء تاريخ كل سنة يحكم فيها موظف كبير أو ابتداء من اعتلاء الملك العرش

وكذلك مثلهم مثل البابليون عبد الآشوريون آلهة كثيرة.. واستقر معاشهم وحالهم على أديان شتى فاتخذوا من الشمس والقمر والكواكب آلهةً لهم.. وقدسوا أرواح الملوك.. وخلدوا أسماءهم بوضعها على أصنام ونجوم وأجرام وظهرت فيهم أصناف من الكهنة والسحرة.. وأنواع شتى من العرافين والمنجمين لمعرفة نوايا الآلهة والأرباب.. وتفادى غضبهم وكسب رضاهم..

هـ-الحضارة الصينية:

يشكل تاريخ الصين سجلاً تاريخيًا يعود إلى حوالي ٥,٠٠٠ سنة مضت.. بينما يعود السجل الأثري إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد.. وتشكل الصين أحد أقدم الحضارات المستمرة في تاريخ العالم.. وجدت صدفات سلاحف مع كتابات صينية عليها من فترة سلالة شانغ **Shang Dynasty** تعود حسب تحديد العمر بالكربون إلى ١٥٠٠ ق.. م.وقد نشأت الحضارة الصينية من ولايات ومدن في وادي النهر الأصفر.. وتعتبر سنة ٢٢١ ق.. م هي السنة المقبولة بشكل عام لاتحاد الصين تحت حكم ملك واحد أو إمبراطور واحد. واستطاعت سلالات التاريخ الصيني المتتالية أن تطور أنظمة بيروقراطية مكنت إمبراطور الصين من السيطرة على الأراضي الشاسعة للصين.

مؤسس الصين كبلد موحد كان من سلالة كين حيث أدخل إمبراطور الصين وقتها نظامًا عامًا للكتابة في القرن الثالث ق.. م استطاع عن طريقه تطوير فكرة الدولة التي تعتمد على الكونفوشيوسية في القرن الثاني ق.. م.وتقلبت الصين بين فترات من الوحدة والانقسامات وأحيانًا سيطرة الشعوب الأجنبية.. إلا أن أغلبهم اندمج في الشعب الصيني.. كما حدثت العديد من التأثرات بالكثير من أجزاء آسيا نتيجة الهجرات والتوسعات والاندماجات العرقية.. ساهم كل هذا في النهاية في تطوير ثقافة الصين المميزة.

و-الفرس:

الفُرس هم شعب يقطن منطقة فارس التاريخية في الهضبة الإيرانية ويتحدث اللغة الفارسية وهي لغة هندوأوربية وينتمي الفرس الأوائل إلى المجموعة الأريانية.. لكن مع مر الزمن امتصت المجموعة الفارسية العديد من الشعوب التي كانت تقطن أو قطنت المنطقة واستوعبتها خلال فترات عديدة ومن هذه الشعوب العرب واليونانيين والترك والمغول وغيرهم فمثلاً الهزارة في أفغانستان يضمون سلالات تنسب لبقايا المغول حيث يشبه الهزارة في بنيتهم العرق الأصفر من ناحية شكل العيون والوجه في حين أن الفرس في غرب إيران لهم علاقات وترابط مع الأكراد العرب المجاورين لهم وخصوصاً العرب الشيعة في العراق.. أسس الفرس العديد من الدول والإمبراطوريات على مر التاريخ مثل الأخمينيين والدولة الساسانية في حقبة ما قبل الإسلام.. إضافة إلى سلالات حكمت في حقبة بعد الإسلام مثل البويهيين والسامانيين وغيرهم.. ويدين غالبية الفُرس بالديانة الإسلامية على المذهب الشيعي الإثني عشري في حين أن الفُرس في المناطق الشرقية يتبعون المذهب السني وخصوصاً في أفغانستان حيث يسمى الفُرس هناك بالطاجيك ويتحدثون لهجة الدري التي تختلف نوعاً ما عن لهجة فُرس إيران يضاف على هذا أن نسبة قليلة من الفُرس لا زالت تدين بديانات ما قبل الإسلام مثل الزرادشتية.

وفي بلاد الفرس عبد أهلها كثيراً من الظواهر الطبيعية .. مثل الشمس أو النار التى ترمز عندهم إلى «إله النور».. وأقاموا لآلهتهم الأنصاب.. ودعوها رغباً ورهباً.. وتقربوا إليها بأنواع القرابين.. كما عُرف عنهم أنهم دانوا بدين المزدكية نسبة إلى «مزدك» وهو كبير آلهتهم وأعلاها مرتبة.. وكانت حضارة جزر كريت وبحر إيجة وقبرص ورودس هي مركز وأساس الحضارة الإغريقية.. وترجع أثار حضارة كريت لثلاث آلاف عام قبل الميلاد واستمرت ألفي عام وقسمت لثلاث عصور مثل الحضارة الفرعونية (قديم.. متوسط.. حديث) وأطلق عليها الحضارة المينوية نسبة إلى مينوس أشهر حكام جزيرة كريت.

ز-الإغريق:

تنتمي بلاد اليونان منبع الحضارة الإغريقية لدول حوض البحر الأبيض المتوسط.. وتتميز بلاد الإغريق بشكل عام بالتضاريس الجبلية.. وبدأت حضارة الإغريق القدماء عندما نزحت قبائل من الشمال إلى شبه جزيرة اليونان حوالي عام ٢٠٠٠ (ق.. م) وعندما استقرت هذه القبائل في اليونان بدأت في تأسيس حضارة لها على نمط الحضارة التكريتية. ولم يكن الإغريق في البداية دولة موحدة بل كانوا ولايات على شكل دويلات متجاورة. كل منها يمثل مدينة مستقلة بذاتها.. لكل مدينة حكومتها وجيشها ورغم ذلك فقد كان الإغريق من أصل واحد ولغة واحدة ودين وحضارة واحدة.

وبعد برهة من الزمن أصبح الإغريق قوة ضاربة في منطقة بحر إيجة.. حتى استولوا على المنطقة من الكريتيين في القرن الخامس عشر (ق.. م).. وخلال القرن الثاني عشر (ق.. م) تعرضت اليونان لموجة أخرى من الغزو قامت بها القبائل القادمة من الشمال.. والتي هزمت معظم السكان في جنوبي اليونان وطردتهم من ديارهم.. وخلال القرون العديدة التالية توحدت مجموعات من تلك القبائل فكونت نوعًا جديدًا من الوحدات السياسية المستقلة.. وكانت كل وحدة من هذه الوحدات تسمى بولس أو (الدولة المدينة).. وبلغت الحضارة الإغريقية أوج عظمتها خلال القرنين الخامس والرابع (ق.. م) مع ظهور مدينتي إسبرطة وأثينا ومدن أخرى لا تقل نفوذًا وقوة .. انتشرت فكرة الديمقراطية خلال هذه الفترة كما ازدهر الفن والعلم.. وفي البداية اندفع سكان بلاد اليونان القديم للاشتغال بالمهن البحرية فطبيعة بلادهم الجغرافية فرضت عليهم ذلك.. وعلى مر الأعوام مرت الحضارة الإغريقية بعدة مراحل منها :

- العصر الأرخي..
- العصر الكلاسيكي..
- العصر الهيلنستي..

ق-المعجزة الإغريقية :

وكان أهم تلك العصور هو العصر الكلاسيكي حيث ظهرت حكومة بركليس[1] وغيرها من المظاهر السياسية والفنية المعروفة بالمعجزة الإغريقية.. وبدأت تظهر في بلاد الإغريق قوتان أساسيتان في كلٍ من مدينتي اسبرطة.. وأثينا.. واختلف النظام في أسبرطة عن أثينا حيث كان النظام الإسبرطي ارستقراطياً.. حيث أصبحت أسبرطة من أعظم المدن في شبه جزيرة البلقان بفضل قوتها العسكرية.. واحتكر علية القوم والأغنياء مقاليد الأمور والحكم في أسبرطة .. بينما غاب الأغلبية من الشعب[2] عن المشاركة في الحكم فغلب عليها الطابع الأرستقراطي بينما كان نظام الحكم في أثينا ديمقراطياً.. فعرفت أثينا خلال عهد بريكليس نظامًا سياسيًا شارك فيه المواطنون كما كانت المواطنة خلال عهد كليستين تعتمد على المساواة السياسية.

---

(١) سياسي أثيني عاش بين عامي ٤٩٥ – ٤٢٩ قبل الميلاد وحكم أثينا بشكل متقطع من عام ٤٦٠ ق م حتى وفاته.. وكان قد حول الاتحاد الديلي من تحالف متوازن القوى إلى إمبراطورية أثينية وقاد أثينا في الحرب البيلوبونيسية ضد أسبرطة وله خطاب سجله ثوكيديدس حول نظرته لأثينا المستقبلية. ولد لأب يدعى كسانثيبوس وأم تدعى أغاريثي وفي عام ٤٧٧ ق م بدأ بناء البارثينون لمدة تسع سنوات عن طريق المهندسين إكتينوس وكاليكراتيس تزيين فيدياسمات هو وأغلب عائلته في طاعون اجتاح المدينة.

(٢) كان يُطلق عليهم البريك والهيلوت .

ك-عصر بركليس هو العصر الذهبي لأثينا :

ويعتبر عصر بركليس هو العصر الذهبي لأثينا حيث تزعمت بلاد الإغريق كلها بعد انتصارها على إسبرطة وظل بركليس ينتخب لمدة ثلاثين عام وتولى رئاسة الوزراء وقام بالعديد من الإصلاحات التي زادت من سلطة الشعب.. وحسنت من الأحوال الاقتصادية للمواطنين.. ووفرت فرص العمل للعاطلين.. كما ازداد في عهده عدد سفن الأسطول.. وأقام المعابد والتماثيل الرائعة .

تشريعات سولون[1]:

ومنذ بدايات حكمه حاول سولون التوفيق بين الفقراء والأغنياء فأصدر بعض التشريعات منها إلغاء مبدأ عبودية الدائن كشرط لتسديد الدين فقد كان الفقراء في أثينا يلجئون للاستدانة من الأغنياء وإن عجزوا عن السداد عندها كانوا يتحولون عبيدًا للدائن .

وقَلَلَ من الإسراف والبذخ أنشأ جمعية عامة تضم ٤ أعضاء تبحث الموضوعات قبل عرضها على مجلس الشيوخ..

وكانت أثينا في حاجة ماسة للتغيير السياسي والاقتصادي.. وكان القدر الأكبر من الثروة متمركزًا في يد قلة من المواطنين ذوي النفوذ وكان المزارعون قد أُجْبِرُوا على رهن أراضيهم مُقَابل استدانة المال مقدمين أنفسهم وأسرهم ضمانات للدين.. فأصدر سولون قانونًا يلغي كل تلك الديون والرهونات.. ويُحَرِّر الذين أصبحوا أرقاء.. وقام أيضًا بتعديل النظم المالية.. مما سَهَّل التجارة الخارجية.. وكان التعديل الوحيد الذي أدخله سولون في تجارة أثينا الخارجية هو إصدار قانون يمنع تصدير الحبوب.

(١) سولون (٦٣٨ ق.م – ٥٥٨ ق.م) (بالإغريقية:Σόλων) شاعر ورجل قانون أثيني قام بسن مجموعة من القوانين الإصلاحية والتي تعارضت مع نظام الدولة المتبع آنذاك ورغم أن إصلاحاته فشلت فيما بعد إلا أنه يعتبر الممهد لقيام ما تم تسميته لاحقًا بالنظام الأثيني الديمقراطي.. وهو واحد من حكماء الإغريق السبعة الذين يعود لهم الفضل في سن قوانين اجتماعية متقدمة وذلك بعد حرب أهلية خاضها الفقراء ضد طبقة الملاك.. وسمي قانونهم قانون أتيكا. ويتضمن حق الملكية الفردية المحدودة.. وحق الشعب في الإشراف على مؤسسات الدولة.. وحق الجماعة في تشكيل وحدة لها قوانينها الخاصة التي تحكمها وتخضع لقانون= =الدولة العام.. وُلد سولون في أثينا لعائلة نبيلة. واشتهر في البداية بوصفه شاعرًا. وقد أدت قصائده دورًا كبيرًا في حث الأثينيين على استرداد جزيرة سلاميس التي كانت تحت أيد أجنبية لفترة طويلة.. أُعطي قيادة القوات التي أرسلت لاسترداد الجزيرة.. وقد قام بإخضاعها بشكل سريع.. وتم اختياره بعد ذلك أرخونًا (الحاكم الأول) لأثينا وأوكلت إليه سلطة تغيير القوانين.

وقد أعادت إصلاحات سولون الدستورية.. تقسيم المواطنين إلى أربع طبقات وفقًا للدخل.. ويسمح للمواطنين من كل الطبقات بأن يُصبحوا أعضاء في الجمعية التشريعية وفي المحاكم المدنية.. وقد أسس سولون مجلسًا من ٤٠٠ شخص.. ليضطلعوا بالسلطات السياسية في الأريوباجوس (المجلس القضائي) وأقام المحاكم الشعبية التي يستطيع المواطنون أن يحتكموا إليها ويستأنفوا ضد قرارات موظفي الدولة.. وقد أبقى سولون على الشروط القديمة التي بموجبها يحق فقط للطبقات الثلاث العُليا تولي المناصب العامة العُليا ويحق فقط لأعلى طبقة تولي منصب الأرخون.. وقد أبقت هذه الشروط على الأوليجاركية ـ أي حكم الأقلية ـ ولكن إصلاحات سولون كانت خطوة مؤكدة في طريق الديمقراطية.

وقد قيل إن سولون جعل الأثينيين يَعِدُونه بالالتزام بقوانينه لمدة ١٠ سنوات.. وترك البلاد بعد ذلك.. وعندما رجع بعد ١٠ سنوات وجد البلاد تخوض حربًا أهلية وسرعان ما سيطر بيزيستراتوس على الأمور.. وبعد معارضته بيزيستراتوس.. تقاعد سولون وابتعد عن الحياة العامة.

ولم يرض الفقراء عن تشريعات سولون لأنها لم تساوي بينهم وبين الأغنياء.. كما غضب الأغنياء من تشريعات سولون لأنها منحت العامة بعض الحقوق السياسية التي كانت قاصرة على الأغنياء.. في الوقت الذي يَعد فيه بركليس من أعظم حكام أثينا ينتمي لأسرة غنية ولكنه انضم للعامة وزاد من سلطاتهم على حساب الأغنياء.. كما منح حق الانتخاب لجمعية الأكليزيا (مجلس الشعب) لكل من بلغ ٢١ عام ومن أبوين أحرار.. أما مجلس الشيوخ فقد كان أعضاؤه يختارون من سجلات المواطنين بالقرعة .

,كانت الديمقراطية في أثينا تُمارس عن طريق جمعية الأكليزيا(تجتمع في سوق المدينة) مجلس الشيوخ.. ومن عيوب الديمقراطية في عهد بركليس اقتصار حق الانتخاب على الأحرار واستبعاد العبيد والأجانب والنساء .

وباختصار يمكننا القول أن فكرة الديمقراطية هي أعظم ما قدمته أثينا للإنسانية وتعني حكم الشعب ومشاركة المواطن في صنع القرار..

ن- نظام الحكم في إسبرطة:

قام نظام الحكم في إسبرطة على أساس ديمقراطي حيث وزعت السلطة على أربع عناصر هي :

١- ملكية مزدوجة حتى لا ينفرد ملك واحد بالحكم.

٢- مجلس شيوخ يتكون من ٢٨ عضوًا.

٣- جمعية عامة تضم كل المواطنين الذكور الذين بلغوا سن الثلاثين.

٤- ضباط التنفيذ (الوزراء) عددهم خمسة ينتخبهم الشعب يتولون وظيفتهم لمدة عام.

ومن المعروف تاريخياً أن إسبرطة لم تسهم بنصيب وافر في مسيرة الحضارة الإغريقية.. بل كانت وكأنها مصدر عذاب مستمر لجيرانها .

ولعل السبب في ذلك يرجع لكون نظام الحكم في إسبرطة كان نظاماً عسكرياً بحتاً يهتم أولاً.. وأخيراً بالجيش والمؤسسة العسكرية ..ولهذا لم تساهم إسبرطة بقسط كبير في الحضارة الإغريقية (عكس أثينا) وكان هدف التربية إخراج مواطنين قادرين على القتال لأن الموت في ميدان القتال هو (الشرف الأعظم) أما الحياة بعد الهزيمة فهي عار لا يمحى.. وكانت الأم الإغريقية تقول لابنها وهو ذاهب للحرب (عد بدرعك ـ أي منتصراً ـ أو محمولاً عليه ـ أي قتيلاً ـ).

ولعل أهم أسباب هذه النزعة العسكرية هي كون موقع إسبرطة بعيداً عن البحر ولم يكن هناك وسيلة للتوسع سوى التوسع فيما حولها من بلاد على حساب جيرانها.. لهذا كانت إسبرطة بمثابة مصدر تهديد دائم لجيرانها .

واستمرت إسبرطة قوية لمدة طويلة وعندما سقطت استغرب الناس من سقوطها ولكنهم لم يحزنوا عليها!!

س-التأثر بالحضارة الفرعونية :

تأثرت الحضارة الإغريقية بالحضارة الفرعونية تأثراً واضحاً حيث كان للمصريين من عصر ما قبل الأسرات علاقات بسكان جزر البحر المتوسط تطورت بمرور الأجيال إلى معاملات تجارية نتجت عنها تأثيرات شتى في الحضارة والفن وظهر هذا التأثر بشكلٍ خاص في بناء أعمدة المعابد الإغريقية.. فبطريق غير مباشر احتل الإغريق جزيرة كريت.. وعنها نقلوا منها ما أخذوه عن الحضارة المصرية بعد أن ساهم الفينيقيون في نقل الحضارة المصرية لبلاد الإغريق ثم بطريق مباشر عن طريق التجار الإغريق الذين أقاموا مستعمرات(مدن) على الطراز الإغريقي في مصر.. وبعد أن بدأ توافد العلماء والطلاب الإغريق على مصر ممن جاءوا يطلبون العلم.. أو للعمل كمرتزقة في الجيش المصري.. كما تأثرت الحضارة الإغريقية أيضاً يكلٍ من الحضارة الفارسية والعمارة الساسانية.

ش-آلهة الإغريق:

عبد الإغريق كثيراً من الآلهة.. منها كبيرهم «زاس» (Zeus) الذي كان يسكن حسب معتقداتهم فوق جبال «الأولامب» (Olympe) وهو أعلى جبل في بلاد اليونان.. وبجواره آلهة أخرى كإله الشمس والفنون «آبلون»(Apollon).. وإلهة الجمال«آفروديت»...(Aphrodite).. إلخ..

وتفنن الإغريق فى تشييد المعابد كهيكل «آرتيميس» (Artémis)الذى دام بناءه مائة وعشرين سنة).. ووضعوا فيها تماثيل آلهتهم (كتمثال «زاس» الذى يعد عندهم من الروائع الفنية السبعة).. وحددوا لها مواسم وأعياداً ليحجوا إليها من حين إلى حين ويتقربوا إليها بأنواع القرابين..

وكان أقدس معبد عندهم ذلك الذي أقيم على شرف كبير آلهتهم في جبل «أولامب».. وكانوا يجتمعون فيه مرة كل أربع سنوات لإقامة شعائر دينهم وإجراء «الألعاب الأولمبية» على شرف آلهتهم.. تلك الألعاب التي أضحت من التقاليد الراسية واتخذت في عصرنا الحديث صبغة عالمية.. وقد شجع طقس بلاد الإغريق المعتدل على إقامة أهل عدن كثيراً خارج منازلهم يمارسون الألعاب الرياضية .. واشتهر الإغريق بإقامة مبارياتهم الرياضية بجوار معبد كبير آلهتم زيوس الذين اعتقدوا أنه يعيش فوق جبل أوليمب ولهذا سميت الألعاب الأوليمبية.. وقد كانت لهذه المباريات أهمية دينية تتنافس فيها المدن الإغريقية ولها قسم خاص بالأمانة الرياضية ويستقبل الفائزين استقبال الفاتحين وتعد لهم مواكب النصر .

وأقيمت هذه المباريات منذ القرن الثامن قبل الميلاد وبالتحديد عام ٧٧٦(ق..م) .. وحتى القرن الرابع الميلادي حيث أوقفها في حينها أحد أباطرة الرومان وعادت مرة أخرى في القرن التاسع عشر(١٨٩٦) لتقام كل أربع سنوات.. ولا يزال المشعل الأولمبي.. الذي اقْتَبَس فى زعم الأساطير أشعته الأولى من الشمس.. ينتقل عبر المواسم والأجيال تخليدا لروح الألعاب ومنهاجها العريق.



أهم المعابد الإغريقية:

■ معبد البارثينون:

ظهرت المعابد الإغريقية الرائعة بعد تولي بركليس الحكم وذلك بعد أن تم تدمير هضبة الأكروبول على يد الفرس عام ٤٨ (ق.. م) ووصلت تحت حكمه إلى أوج عظمتها ومن أهم هذه المعابد معبد البارثينون وكان مخصصًا لآلهة أثينا كما كانوا يعتقدون..

وبني معبد البارثينون على هضبة الأكروبول من الرخام الأبيض الناصع على الضفة الجنوبية من الهضبة وقد استخدم هذا المعبد لأربع ديانات أثينا وكنيسة ثم كاتدرائية كاثوليكية ثم مسجدًا تحت الحكم العثماني ولكنه دمر أثناء الحكم العثماني لاستخدامه كمخزن للذخيرة.

وتعد العمارة الإغريقية أول الحضارات التي تهتم بالدقة المتناهية في التصميم بالنسبة للنسب الجمالية ومراعاة الأشكال الفنية الجميلة..

ويتجلى الجمال المعماري لتلك الحضارة الرائعة في معابدهم مثل معبد الأركيزون فالمدخل الشمالي مثلاً تم تخصيصه للعذراوات فقط وهو عبارة عن ستة أعمدة بأشكال نسائية لحمل سقف المدخل وهذا ما دفع أحد الحكام الأتراك بعد حوالي ألفي عام إلى تحويله إلى قصر للحريم وهذا يرجع إلى روعة هذه التماثيل وأيضا الأعمدة الأيونية في الداخل وأعمال النحت الرائعة داخل المبنى وأهم ما يميز هذه الحضارة الأنيقة هو تحديد أماكن وضع النقوش في شكل منظم وتتميز نقوشهم بالحساسية والدقة والرشاقة' على عكس الحضارة المصرية القديمة والتي كانت ترتكز على ملأ الجدران بالنقوش والرسومات..

العوامل المؤثرة في الحضارة الإغريقية:

الحضارة ما هي إلا عوامل مؤثرة وبيئة محيطة لذا كان لزاما علينا أن نذكر العوامل المؤثرة والبيئة التي نشأت فيها العمارة الإغريقية.

١- الناحية التاريخية:

بدأت أولى المحاولات في بناء المعابد تقريبًا ما بين عامي ٤٩ & ٤٧٩ (ق.. م) وذلك نتيجة لتعرض اليونان لهجمات من قبل الفرس والعجم ونتيجة لانتصاراتهم في مواقع برية وبحرية مختلفة ضد هجمات الفرس والعجم.. وتم تخليد هذه الانتصارات عن طريق المعابد ثم ازدهرت أثينا أيام حكم بركليز ٤٤٤-٤٢٩ (ق..م).

٢- الناحية الجيويلوجية :

كانت.. وما تزال بلاد اليونان تمتاز باعتدال مناخها وصفاء جوها وصحوه.. وجمعه بين برودة الشمال المعتدلة في معظم أرجاءه.. ودفء الجنوب مما أدى لظهور هذه المدنية المعمارية التي تتميز بجمال النسب المعمارية لها وذلك مما ساعد على ممارسة أعمالهم في الهواء الطلق مثل القضاء والتمثيل وإدارة الأعمال والاحتفالات ومن أهم الخصائص المعمارية التي تأثرت بالمناخ وجود البوائك والكلونيد واليوريتيكو وذلك لتجنب أشعة الشمس وهطول الأمطار فجأة.

٣- الناحية الجيولوجية:

أهم ما تمتاز به هذه البلاد هو وجود الرخام والأحجار بكثرة وبالأخص في جزر باروس وناكسوس واهتم الإغريق بجودة الأحجار بطريقة مبالغ فيها وذلك للحصول على خطوط مستقيمة للغاية وأسطح ملساء لدرجة أنهم كانوا يضيفون طبقة من البياض الرخام على الحوائط المبنية من الأحجار للحصول على أسطح ملساء رخامية جميلة وكانت هذه الظاهرة من أهم مميزات الحضارة الإغريقية في اليونان.

٤- الناحية الجغرافية:

شبه الجزيرة اليونانية محاط بالبحر من ثلاث جهات وامتدت الحضارة الإغريقية إلى بلاد أخرى مجاورة كجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وآسيا الصغرى وساعدت الجبال الموجودة على تقسيم اليونان إلى مناطق نفوذ مختلفة ومن هنا نشأت المنافسة بين هذه الولايات لإبراز حضارة كل منها

٥- الناحية الدينية:

كان يعتمد الدين الإغريقي على عبادة الأشخاص أوالظواهر الطبيعية وكانت لكل بلد عبادة معينة وأعياد خاصة بها وتوجد أيضًا آثار لمعتقدات وعبادات أخرى تعتمد على عبادة الأبطال وكان الرهبان والقساوسة هم الذين يقررون ذلك وربما لمدة معينة للرجال والنساء والأبطال وبعد ذلك تنتقي عنهم هذه الصلاحية ويعودون مرة أخرى لطبقة الشعب وقد كان للدين تأثير كبير على الإغريق مما ظهر بوضوح في معابدهم ويرجع هذا التأثير لأنهم كانوا ينظرون للدين نظرة فلسفية عميقة..

■ حروب الإغريق:

وبسبب طبيعة بلاد الإغريق الجبلية كان من الصعب إقامة دولة موحدة فقد قسمت الجبال العالية بلاد الإغريق لأقاليم منعزلة مما أدى لظهور دويلات حول المدن الكبرى وتنافست كل مدينة مع الأخرى ودخلت في الوقت نفسه تقريبًا في حروب طويلة.. فبعد أن هزم الإغريق قوات الغزاة القادمة من الخارج خاصةً من قبل الإمبراطورية الفارسية في الشرق نشبت العديد من الحروب الداخلية بين الدول ـ المدن الإغريقية نفسها.. وباستمرار هذه الحروب بدأت قوة الإغريق السياسية في الانهيار.. إلا أن أثينا ظلت مركزًا ثقافيًا للعالم القديم.

■ بداية ظهور مملكة مقدونيا:

قويت مملكة مقدونيا في شمالي اليونان خلال هذه الفترة حتى تسلمت زمام السلطة في اليونان في سنة ٣٣٨ (ق.. م) وفي عام ٣٣٦ (ق.. م) أصبح الإسكندر الأكبر حاكمًا لمقدونيا.. واستطاع إقامة إمبراطوريته الخاصة.. جزء منها في أوروبا ومعظمها في قارة آسيا.. وكان مولعًا بالثقافة الإغريقية بالشكل الذي سنتحدث عنه تفصيلياً في حينه.. وعمل على نشرها في أرجاء إمبراطوريته المترامية الأطراف.. وضعفت مقدونيا بعد موت الإسكندر في سنة ٣٢٣ (ق.. م) إلا أن حكامها ظلوا يبسطون سيطرتهم على اليونان.



الاسكندر الأكبر

أسطورة كل زمان !!

◆◆◆

بورتريه خاص جدًا !!

الإسكندر الأكبر (بورتريه خاص جداً)

من بين كل ما كُتِبَ عن الإسكندر نرسم عبر السطور القادمة بورتريه خاص جدًا بريشة الحروف.. والكلمات لنقرب به للأذهان صورة أقرب ما تكون لشخصية هذا القائد العظيم.. والإنسان المحير.

فعلى المستوى العسكري.. لاشك أن الإسكندر كان من أعظم جنرالات الحرب على مر العصور.. وكان قائداً بارعاً في التخطيط لمعاركه.. وحُسن إدارتها.. وكان شجاعاً يتقدم جنوده بنفسه في أشد أوقات المعارك سخونة..

ويدلل على ذلك كله بقدرته المتميزة على إخضاع كل تلك المساحات الواسعة في فترة وجيزة..

أعظم محارب في التاريخ:

أطلق على الإسكندر الأكبر لقب أعظم محارب في التاريخ نظراً لشجاعته الفائقة وحرصه الدائم على اتخاذ موقع الصدارة في مقدمة جيوشه .. فكان قائداً بارعاً ومخططاً حربياً ماهراً وصاحب عبقرية عسكرية فذه.. وإذا اجتمعت كل هذه المزايا في شخص قائد مثل الإسكندر.. فمن الطبيعي أن يوضع ضمن قائمة أعظم.. الفاتحين في التاريخ والمحاربين

القائد الحازم الذي لم يعرف الهزيمة:

وكان حريصًا دائمًا على أن يكون في مقدمة قواته.. ولعل عادته تلك رغم خطورتها على حياته إلا إأنها دفعت كل رجل من رجاله أقصى جهده حتى يكون جديرًا بالقتال في صفوف هذا المقاتل العظيم وبالطبع لم تمر هذه المعارك الطاحنة على «الإسكندر الأكبر» مرور الكرام فقد أصيب عشرات الإصابات في مختلف أجزاء جسده.. ولكن أياً منها لم تعقه عن القتال.. وعندما حاولت إحدي المدن اليونانية الثورة عليه.. سرعان ما أخمد هذه الثورة بعد أن هدم المدينة وسوي بيوتها بالأرض كما أمر أن يباع رجالها وأطفالها ونساؤها في سوق العبيد.

وعلى المستوى الإنساني كان الإسكندر.. سخياً.. لايبخل على جنوده.. وشعبه.. والمقربين منه بكل ما يريدون..

وفي الوقت نفسه كان شديداً.. وصلباً .. وحاسماً في اتخاذ قراراته عندما تتطلب السياسة منه ذلك..

لكن أبرز عيوبه على المستوى الإنساني تمثلت في كونه كان مدمن كحول.. ويقال أنه قتل أقرب أصدقائه كليتوس في حفلة شراب.. وإن قيل أنه ندم على ذلك ندماً عظيماً..

خطيب مفوه:

يعتبر «الإسكندر الأكبر» من الزعماء العِظام أصحاب الشخصيات الساحرة المسيطرة التي تمتلك الأفئدة وتسلب العقول.. فقد كان خطيباً بليغاً لديه من قوة الحجج.. وروعة الأسلوب ما يقنع أصحاب الرؤوس الصلبة فما بالك بالجنود العاديين والأفراد البسطاء من عامة الشعب؟ ويرجع الفضل في ذلك إلى الفيلسوف العظيم «أرسطو» الذي كان كما قلنا كان هو معلمه الخاص الذى تولى تثقيفه وتعليمه.. ودرّبه تدريباً شاملاً في فن الخطابة والأدب وحفزه على الاهتمام بالعلوم والطب والفلسفة.

وهو أول قائد يخلد نفسه ويضع صورته على قطع النقود المعدنية.. وقد سجل بذلك سابقة للحكام الذين جاءوا بعده.. وقبل ذلك كانت وجوه قطع النقود مخصصة لرموز الشعوب الدينية .

أسطورة الإسكندر في التراث الشعبي:

تحول الإسكندر الأكبر إلى شخصيّة بطولية في جميع الثقافات الشعبية على مستوى العالم أجمع.. خاصةً بين شعوب دول حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط.. والغريب أن هذه الأسطورة كما تقول لنا كتب التاريخ بدأت في حياته مع نجاحه في كل معركةٍ يخوضها.. ومع ترامي أصداء تلك المعارك في جميع دول العالم القديم والمأهول وقتهاً.. كما زادت بعد موته مباشرةً.. وبدأت تلك الحكايات تتراكم.. وتتحور حول انجازاته وحياته.. حتى أصبح معظمها بمرور الزمن وكأنه أساطير خيالية أكثر منها واقعية.. وبالغ بعضها في الحديث عن الإسكندر لدرجة السفه ممن يرفضون فكرة موته.. ويؤكدون معراجه إلى الفردوس أو رحيله للحياة في إلى أعماق البحر.

الإسكندر بين اليهودية. والمسيحية

ثم بمرور القرون زادت الأسطورة.. وتشعبت رواياتها.. وانتشرت.. واقتبست بعض الشعوب سيرته وعرفت طريقها إلى ثنايا الأساطير اليهوديّة والمسيحيّة المبكّرة.. ففي التراث اليهودي كانت شخصية الإسكندر في البداية موضع نقد.. ومثلته كحاكم متكبر.. ومحبّا للاستحواذ.. وشخصاً جاهلاً بالحقائق الدينية الكبيرة.. لكن إيمانهم ـ أيْ اليهود ـ بالإله العادل والقدير اضطر المفسرين اليهود أن يتوصلوا إلى التوافق مع شخصيّته كشخص لا يمكن إنكار نجاحاته الدنيوية.. فلمَّ ينعم الله العادل القدير على حاكم ضال بكل هذا الإنعام؟

وهذه الطروحات أدت إلى نظرة أكثر ايجابية لميراث الإسكندر.. وبشكل أكثر حيادية وصيغت هذه النظرة بشكل جعل من الإسكندر شخصاً محبباً للشعب اليهودي.. وذلك من خلال إظهاره في صورة الفاتح العظيم المقر بالحقائق الأساسية للتقاليد الدينية والثقافية والأخلاقية لليهود.. واصفين إياه بالأممي الصالح والمؤمن الموحد.

الإسكندر في المسيحية:

وقد ورث المسيحيون المبكرون أسطورة الإسكندر من عدة كتب يهودية تتحدث عن سيرته.. وكانت أقدم نسخة من السيرة هي نسخة يونانية يرجع تاريخ كتابتها للقرن الثالث الميلادى.. ومن ثم ازداد التصوير الديني لشخصيّة الإسكندر حتى وُصِفَّ في بعض القصص كقدّيس.. وبذلك نرى أحياناً الإسكندر في بعض الأساطير المسيحية وكأنه قديساً .. فأسموه في بعضها بـ «الملك المؤمن» ملمّحين إلى أنه كان موحدًا.. عكس ما تدل عليه الحقائق التاريخية..

ويقول إسماعيل مظهر في كتابة «مصر في قيصرية الإسكندر» :

« كان من الطبيعي أن تلفت شخصية الإسكندر الأنظار إليه بعد أن استطاع بغزواته وحروبه أن يهز أرجاء العالم القديم.. لهذا نجد أن أسطورة الإسكندر قد كُتِبَتْ وذاعت في كل لغات الدنيا القديمة من الهند إلي بحر الظلمات.. وتضمنت قصصاً خرافية أصلها بابلي.. وجمعت بين الأسطورة والتاريخ.. ففي النسخة الفارسية نص يقول أن الإسكندر ابن «دارا» ملك الفرس.. ثم انتقل بعد ذلك فصار نبياً يعمل على هدم الأصنام وتقويض الوثنية.. ».

وقد نقلت هذه الأساطير إلي أوربا ويروي الجزء الأول منها مولد الإسكندر ومخاطراته في شبابه.. وفيه أن خطر الإسكندر وقدره العظيم إنما يعودان إلي أن أباه الحقيقي هو « نختنبو آخر ملوك مصر الفراعنة الذي طرده الفرس من بلاده.. وكان من كبار السحرة بحيث يستطيع أن يجعل من الشمع صوراً لجيوش أعدائه وأساطيلهم.. ويستطيع بسحره أن يوجه حركاتهم كيفما يشاء.. فلما طُردَ هرب إلي مقدونيا.. فاستقدمته «أوليمبياس» أم الإسكندر.. وكانت عاقراً.. فوعدها بأن يقنع «زيوس-آمون» كى يزورها.. وأخبرها أنه سوف يأتي إليها متقمصاً صورة أفعوان.. ثم تخفي «نختنبو» في هذه الصورة.. وجامعها.. فولدت الإسكندر.. وحينئذ أكل الشك صدر زوجها الملك فيليب.. ولم يؤمن بصحة ما سمع.. إلا بعد أن تجلي له الأفعوان مرة أخري.. وأشيعت بنوة الإسكندر للإلهين.



أسماء وصفات الإسكندر:

ذو القرنين:

في سيرة الإسكندر التي وضعها ومؤرخه « كاليسثينيس » [1] تذكر الإسطورة المسيحية أن الإسكندر قال في إحدى صلواته « يا الله.. قد جعلت لي قرنين على رأسي»

وتعني عبارة ذي القرنين أى صاحب القرنين.. فقد كان الإسكندر الأكبر كثيراً ما يصوّر كشخص ذو قرنين.. وبالتحديد قرنا آمون. وتصور العمل اليونانية القديمة المضروبة باسم الإسكندر بقرني آمون مميزين على رأسه.. وفي عام ٢٠٠(ق.. م) استُخدمت عملات فضّية تصور الإسكندر بقرني كبش بشكل أساسي في الجزيرة العربية وقد صدرت هذه العملات باسم حاكم عربي اسمه ابيئيل حكم في جنوب الجزيرة العربيّة.

ويعود السبب في تصوير الإسكندر الأكبر مع قرنا آمون في العملات اليونانيّة إلى أن الإسكندر قد استقبل كابن لآمون الإله المصري.. وكان الإله آمون يصوّر برأس كبش.. ويبدو أن الإسكندر نفسه أصبح في حينه مقتنعاً بحقيقة كونه إله.. وقد رغب باعتراف الآخرين بذلك.. فاستجابت المدن تحت الضغط.. وهناك إعلان إسبرطي شهير تحول فيما بعد لمثل يوناني مازالت كثير من شعوب العالم تردده يقول « إذا أراد الإسكندر أن يكون إلهًا فليكن إلهًا»..

الحالم

كان الإسكندر يسعى لبناء عالم واحد عن طريق دمج الشرق مع الغرب في إمبراطورية واحدة.. وعالم أساسه الأخوة.. خاصةً بعد أن غيرت غزوات.. وفتوحات الإسكندر عشرات الشعوب وأحدثت انقلاباً كبيراً في مفاهيم الإغريق وسلوكهم تجاه حضارة الشرق وأهله.. بحيث أصبح الإغريق يعتقدون لقرون عديدة أنهم هم وحدهم أصحاب العلوم والمعارف وإنهم أرقى من سائر البشر..

(١) هذا المؤرخ لسيرة الإسكندر قيل أنه توفي في حياة الإسكندر وعلي ذلك فمن الممكن أن يكون قد دون بعض انجازات الإسكندر وليس كلها.. وأضاف إليه شخص أوأشخاص آخرون ما ورد فيها من أحداث وقعت للإسكندر بعد وفاة المؤرخ.. ولما كتبه من سيرة الإسكندر نسخاً معدّلة ومضافاً إليها.. ولعل أشهرها النسختان اللاتينية والسريانية اللتان تعودان لعصور قديمة متأخرة.. وفي النسخة السريانية نلاحظ بعض التشابه مع قصة ذي القرنين القرآنية.. لكن هذا هو أحد مواضع الخلاف التاريخي حول من ورد ذكره في القرآن.. والإسكندر بشخصه الحقيقي.

احترام الآخرين:

رغم فتوحاته الشاسعة التي تعدي بها حدود بلاده إلي فارس ومصر والهند.. لم تتوقف فتوحات «الإسكندر» عند غزو بلاد فارس والاستيلاء عليها بل واصل فتوحاته حيث فتح بلاد أفغانستان وضم شرق الهند إلى مملكته الشاسعة.. وكان يتهيئ لضم غرب الهند ولكن جنوده رفضوا الاستمرار في القتال والتقدم لأبعد من ذلك..بعد أن أرهقهم القتال المتواصل لسنوات متتالية.. ولولا ذلك لضم الإسكندر باقي أنحاء قارة آسيا.

وكان الإسكندر قد فتح مصر خلال حملته الكبرى على فارس وضمها إليه بدون قتال.. وقضى بها بعض الوقت وقد تم تتويجه فرعوناً على البلاد ورسمه الكهنة إلهاً أيضاً.. وهناك عدد من الرسوم المنقوشة فوق جدران المعابد المصرية تسجل هذه الأحداث الهامة.. وخطط لغزو باقي أنحاء العالم ولكن موته المبكر قلب الأمور رأساً على عقب.

كان يتوج هذه الفتوحات بإرضاء أهلها واحترام دياناتهم.. وربما كان هذا الاتساع في الأفق مرجعه إلي أنه كان تلميذاً للفيلسوف اليوناني الكبير أرسطو..

مغرور أحياناً:

أسكرت خمر هذه الانتصارات المذهلة وغير المتوقعة الإسكندر.. فإذا به في لحظات شعوره بتألق هذه الانتصارات يتحول إلي إنسانٍ آخر.. مملوءاً بالغرور.. وعدم الاعتداد بالآخرين.

الإداري البارع:

لم تقف براعة الإسكندر في النواحي القتالية والعسكرية والاستراتيجية فقط بل تعدتها إلى النواحي الإدارية.. فبعد أن تمكن الإسكندر من إخضاع الإمبراطورية الفارسية بالكامل أخذ ينظم إمبراطوريته الشاسعة تنظيماً شاملاً.. وكان يدرك جيداً أن كثرة الفتوحات مع إهمال تنظيم البلاد التي تم فتحها سوف يأتي بنتيجة عكسية تماماً وتضيع كل مكاسبه..

المتناقض:

للأسف الشديد كان هناك جوانب كثيرة متناقضةفي تكوين الإسكندر الإنساني.. بشكل محير.. ولا يتفق إطلاقاً مع شخص بعبقريته.. لكنه واقع الحال الذى تنبأنا به الأحداث.. فنراه يندم كثيراً علي جرائمه ويندم علي أفعاله الخاطئة.. لكنه في المقابل لا يغير من طباعه ولا يسعى لتقويمها.. كان شديد التدين ولكنه لم يمتنع أن ينصب إلها.. كان باني ملك عظيم ولكنه لم يتزوج لينجب وريثاً للعرش إلا في آخر الأمر.. رغم كل هذه التناقضات في حياته.. فإن حياته في مجملها كانت ذات معني عظيم..

صاحب القبر المجهول:

في سنة٣٢٣ (ق.. م) وحينما كان «الإسكندر الأكبر» في نحو الثالثة والثلاثين من عمره فقط أصيب بالحمى وتوفي بعد ذلك بعشرة أيام وكان في هذه الأثناء في بلاد «بابل».

ولما كان الإسكندر لم يُخلف على إمبراطوريته من يقوم بأمورها ويحل محله فإن الإمبراطورية الشاسعة تفككت واقتسمها قواده العسكريون فيما بينهم.. أما الموضع الذي دفن فيه «الإسكندر» فقد اختلف المؤرخون في تحديده اختلافاً عظيماً.. وجرت مئات المحاولات في العصر الحديث للعثور على هذا القبر.. ولكن لم يكتب لأحدها النجاح حتى الآن.. ويميل كثير من علماء الحفريات إلى الاعتقاد بأن «الإسكندر» قد دُفِنَّ في مصر.. وبصفة خاصة في مدينة الإسكندرية.. التي شيدها خلال فتحه لمصر.. ولكن الحفريات التي أُجريت حتى الآن في مدينة الإسكندرية لم تؤد للكشف عن القبر المنشود.. وربما يتم العثور عليه في يوم ما.. وحتى يجيء هذا اليوم فسيظل «الإسكندر الأكبر».. لغزاً محيراً للعالم حياً وميتاً..

وحتى تتكامل أركان .. وملامح الصورة حول «الإسكندر» نتوقف عند معلمه.. وصاحب الفضل الأول في تشكيل وعيه.. وأفكاره.. ومنظوره للحياة.. وهو أرسطو..

أرسطو معلم الإسكندر:

نحن الآن في أوائل القرن الرابع (ق.. م).. وبالتحديد عام (٣٨٤) ففي هذا العام وُلِدَّ مُعلِمْ الإسكندر.. الفيلسوف الإغريقي الكبير أرسطو.. الذي كان بدوره أحد تلاميذ أفلاطون.. كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء.. والشعر.. والمنطق.. وعبادة الحيوان.. والأحياء.. وأشكال الحكم..

وعند أرسطو لابد أن نتوقف طويلاً.. ليس كونه فقط مؤسس علم المنطق.. وصاحب الفضل الأول في دراستنا اليوم للعلوم الطبيعية.. والفيزياء الحديثة.. بأفكاره حول (الميتافيزيقيا) التى لاتزال هي محور النقاش الأول بين النقاشات الفلسفية في مختلف العصور.. وليس لكونه أيضاً هو مبتدع علم الأخلاق الذي لازال من المواضيع التي لم يكف البشر عن مناقشتها مهما تقدمت العصور.. لكن لكونه معلم الإسكندر.. وواضع لبنات فكره.. وتوجهاته الحياتية بشكل عام.. ولم تكن العلاقة بين الإسكندر.. ومعلمه علاقة عادية كالتي تنشأ بين أي تلميذ وأستاذه.. بل كانت علاقة حب.. وتقدير.. وتبجيل متبادلين.. يكنهما التلميذ لمعلمه.. والمعلم لتلميذه..

وأرسطو هو ثاني أكبر فلاسفة الغرب بعد أفلاطون.. ويمتد تأثير أرسطو لأكثر من النظريات الفلسفية.. فهو مؤسس علم البيولوجيا (الأحياء) بشهادة داروين نفسه.. وهو المرجع الأكبر في هذا المجال.. وشعره يعتبر أول أنواع النقد الدرامي في التاريخ.. وتأثيره واضح على جميع الأعمال الشعرية الكلاسيكية في الثقافة الغربية وربما غيرها أيضاً.. ويرجع سبب هذا التأثير إلى أن أعمال أرسطو كانت شاملة.. وتحيط بجميع الجوانب الحياتية.. وتروق لجميع أنواع البشر والثقافات..

ولد أرسطو عام ٣٨٤ (ق.. م) في مدينة (ستاجيرا) في شمال اليونان.. وكان والده طبيباً مقرباً من البلاط المقدوني.. وقد حافظ أرسطو وتلاميذه من بعده على هذا التقارب.. وقد كان لوالده تأثيراً كبيراً عليه لدخوله مجال التشريح ودراسة الكائنات الحية التي منحته القدرة على دقة الملاحظة والتحليل ..

وفي عام ٣٦٧ رحل أرسطو إلى أثينا للالتحاق بمعهد أفلاطون.. كطالب في البداية.. وكمدرس فيما بعد.. وكان أفلاطون قد جمع حوله مجموعة من الرجال المتفوقين في مختلف المجالات العلمية من طب وبيولوجيا ورياضيات وفلك.. ولم يكن يجمع بينهم رابط عقائدي سوى رغبتهم في إثراء وتنظيم المعارف الإنسانية.. وإقامتها على قواعد نظرية راسخة.. ثم نشرها في مختلف الاتجاهات.. وكان هذا هو التوجه المعلن لتعاليم وأعمال أرسطو.

وكان من برامج معهد أفلاطون أيضاً تدريب الشباب للقيام بالمهن السياسية.. وتقديم النصائح والمشورة للحكام.. ولذا انضم أرسطو عام ٣٤٧ إلى بلاط الملك هرمياس.. وفي عام ٣٤٣ دخل في خدمة الملك فيليب الثاني إمبراطور مقدونيا حيث أصبح مؤدباً لابنه الإسكندر.. وبعد سبع سنوات عاد مرة أخرى إلى أثينا ليؤسس مدرسته الخاصة (الليسيوم) أو (المشائية) وسميت كذلك نسبة للممرات أو أماكن المشاة المسقوفة التي كان الطلاب وأساتذتهم يتحاورون فيها وهم يمشون[1].. وقد خالفت (المشائية) تقاليد (أكاديمية) أفلاطون بتوسيع المجالات العلمية التي كانت تناقشها وأعطت أهمية كبرى لتدريس الطبيعيات..

وبعد وفاة الإسكندر.. بدأ الشعور بالكراهية يظهر ضد المقدونيين في أثينا.. وقد أثر ذلك على نفسية أرسطو.. وقد كان من الموالين للمقدونيين.. مما جعله يتقاعد.. ولم يمهله القدر طويلاً حيث توفي بعد أقل من عام على وفاة الإسكندر.. فكانت وفاته في عام ٣٢٢ (ق.. م)..

(١) تماماً مثلما تسمى اليوم جماعات الضغط السياسية في الكونجرس الأمريكي بـ (اللوبي) نسبة إلى لوبي أو ردهة مبنى الكونجرس في واشنطنالتي يحرص هؤلاء على التجمع فيها.

وعلى الرغم من غزارة إنتاج أرسطو الفكري المتمثل في محاضراته وحواراته الكثيرة.. إلا أنه لم يبق منها إلا النذر اليسير.. فقد ضاع معظمها.. ولم يبق سوى بعض الأعمال التي كانت تدرس في مدرسته.. والتي تم جمعها تحت اسم (المجموعة الأرسطوطالية) بالإضافة إلى نسخة ممزقة من (الدستور الأثيني) الذي وضعه.. وعدد من الرسائل والأشعار ومن ضمنها مرثية في أفلاطون .. وقد قسمت (المجموعة الأرسطوطالية) إلى خمسة أجزاء وهي :

١ - المنطق ..

٢ - الطبيعة ..

٣ - ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)

٤ – الأخلاق

٥ - الخطابة والشعر ..

وبعد موت أرسطو.. استمر التقليد الفلسفي الأرسطوطالي سائداً خلال الحقبة الهلنسية (الإغريقية) من خلال المدرسة المشائية التي أسسها..

وقد ساعد ظهور النزعات الانتقائية والكلاسيكية المحدثة خلال القرن الأول (ق. م)على تنصيب أرسطو كمرجعية فلسفية وحيدة لجميع الفلاسفة وخصوصا في المنطق والعلوم الطبيعية.. أما في الفترة من القرن الثالث وما تلاه..

فقد كانت الفلسفية الأفلوطينية هي السائدة حينذاك.. وذلك لأنها ناسبت الحياة الدينية المسيحية التي انتشرت في ذلك العهد.. وقد تبنى رجال الدين المسيحيون في عصر الدولة الرومانية والبيزنطية والإسلامية التوجه الأفلاطوني.. ونبذوا الفلسفة الأرسطوطالية باعتبارها نوعاً من الهرطقة..

ومع ذلك فإن الفلسفة النصرانية (الإسكولاستية) في القرون الوسطى في أوربا ظهرت وتطورت بفضل استيعاب الفلسفة الأرسطوطالية بالرغم من محاربة رجال الدين..

وقد أدى هذا التقارب المشبوه بين النصرانية و الأرسطوطالية إلى فقدان الأرسطوطالية لسمعتها الطيبة.. إلى أن أعيدت لها تلك السمعة مع بداية القرن التاسع عشر بفضل ظهور الفيلسوف الألماني هيجل الذي أعاد للفلسفة الأرسطوطالية اعتبارها وجعل منها الأساس الذي قامت عليه الفلسفة الحديثة..

الفصل الأول : الإسكندر طفلاً

وُلِدَ الإسكندر عام ٣١٨ قبل الميلاد في (بيلا) العاصمة القديمة لمقدونيا التي كان يحكمها والده من سنة ٣٥٩ ق.. م إلى حين وفاته سنة ٣٣٦ ق.. م..

والدته هي الملكة أوليمبياس[١] إحدى الزوجات السِت للإمبراطور فيليب.. أوفيليبوس الثاني المقدوني..

وكان الإسكندر هو أحد وريثين شرعيين للحكم في مقدونيا.. بينما كان الثانى مصاباً بالصرع وورث الإسكندر عن والده الشجاعة.. وعن أمه الدهاء والمكر ..

ونتوقف قليلاً هنا لنلقي الضوء على تاريخ فيليب والد الإسكندر..

وُلِدَ فيليب بمدينة بيلا.. وعاش بين عامي (٣٨٢ ق.. م - ٣٣٦ ق.. م) وفي طفولته سجن في (طيبة ثيفا) أقوى مدن اليونان آنذاك.. ثم أَطلِقَ سراحه.. ثم عاد إلى مقدونيا.. وتمكن من الاستيلاء على هناك.. وتحت حكمه تحولت مقدونيا لدولة قوية.. واستطاع تأمين حدودها بشكل جيد.. وبدأ يتوسع فغزا مناطق كثيرة في بلاد البلقان.. وبالرغم من نجاح فيليب قبل مولد ابنه الإسكندر- وفي حياته - في غزو عدد من الممالك الصغيرة.. وإخضاعه الشعوب المجاورة لنفوذه.. وضمها إلى مملكته.. لكن بقي حلمه بغزو مملكة الفرس تلك الإمبراطورية التي كانت أغنى وأكبر مملكة وإمبراطورية في العالم القديم آنذاك.. وظلت لسنوات طويلة تخيف المدن اليونانية.. وتفرض سلطانها عليها بعيد المنال.. حتى قُتِلَ قبل أن يحقق حلمه.. وقيل أنه بما يكون قد قتل بإيعاز.. وتخطيط من زوجته أوليمبياس[٢]..

وفي سبيل تحقيق حلمه في القضاء على الفرس أراد فيليب أن يُكَون جيشاً يضم المقدونيين واليونانيين ولكن بشرط أن تكون اليونان تحت السيطرة المقدونية.. فانقسم اليونانيون إلى فريقين فريق أيد رأي فيليب الثاني والفريق الآخر رفض.. وتزعمت فكرة المعارضة أثينا وطيبة اللتان رأتا أن طموح فيليب تجاه بلادهما يعنى القضاء على حريتهما.. وحرية بلاد اليونان جميعها التى باتت مهددة من قِبل الملك المقدونى الطموح فيليبوس.. فقررتا الاتحاد ضده.. ومحاربته.

(١) أوليمبياس Ὀλυμπιάς عاشت بين عامي (٣٧٦ ق.م.-٣١٦ ق.م.) وهي ابنة نيوبطليموس ملك إيبروس .

(٢) فيما بعد تم العثور على قبر مليء بالذهب قرب مدينة سالونيك.. يعتقد أنه يخص فيليب والاسكندر .

معركة خيرونيا:

وبعد اتحاد المدينتين نشبت حرب قوية بين الاتحاد وفيليبوس والتقى الجمعان قرب مدينة خيرونيا التى اندلعت عام ٣٣٨ ق.. م وفيها استطاع فيليب الانتصار على اليونانيين.. وكان الجيشان متعادلان في القوة.. وكانت خيالة فيليبوس تحت قيادة ابنه الإسكندر الأكبر قد ساعدت على إنهاء المعركة بفوز فيليبوس.. وبذلك صار الحاكم المطلق لمناطق اليونان القديمة.. واجتمعت المدن كلها باستثناء أسبرطة في كورنثيا للاعتراف بملكه لليونان.. وهكذا استطاع فيليب أن يخضع بلاد الإغريق لحكمه.. ووحد كلمتهم تحت رايةٍ واحدة.

الإسكندر. وأساطير مولده:

من المعروف تاريخياً ـ بل يقيناً ـ أن «فيليب المقدوني» هو والد الإسكندر.. لكن هناك أسطورة تقول أن الإسكندر ابناً للآلهة حيث اعتادت النساء فى العصور الوثنية أن تعطى لأولادهن قوة سمائية خاصة ترتبط ببعض الآلهة.. وهو ما حدث مع الإسكندر الذي رُوِيَّ عنه أنه سمع من أمه «أولمبياس» أن الإله «زيوس» تخفي في صورة أفعى.. وجامعهَا.. فكان الإسكندر ثمرة اللقاء.. فأراد التثبت من هذا الادعاء من خلال وحي آمون بعد زيارته لمصر.. ويصف «كلثنيس» المؤرخ الذي صحب الإسكندر إلي الهيكل أنه لم يُؤذن لغير الملك بالدخول إلي المعبد في ثيابه العادية.. أما البطاقنة فأمروا بتبديل ثيابهم.. ووقف الجميع في الخارج يستمعون الوحي.. ماعدا الإسكندر فإنه دخل المحراب.. وكان أول سؤال سأله الإسكندر للإله آمون هو:

ـ هل سيهبه أبوه الإله حكم الأرض جميعاً..

ـ وكان الجواب نعم سيتحقق لك هذا..

وكان سؤال الإسكندر الثاني عن كُنه الذين اشتركوا في قتل أبيه فيليب؟.. وهل عوقبوا؟

فصاحت فيه الآلهة إن هذا السؤال « كُفر » لأن أباه الإله لا يمكن أن يؤذي أحداً..

تخوف فيليب:

فكر فيليب طويلاً في من سيرثه ملكه العريض.. وهو مقبل علي حروب كثيرة يشاركه فيها ابنه صاحب العبقرية العسكرية.. الإسكندر.. وتتابعت علامات الاستفهام علي رأسه.. ماذا يحدث لو أن الإسكندر قُتِلَ في إحدى المعارك.. هل يصبح العرش بلا وريث؟ وهداه تفكيره أن يتزوج للمرة السابعة حتي يأتي بولي للعهد فيما لو حدث لابنه الإسكندر حادث قد يودي بحياته سواء في ميادين القتال التي كان يعشقها منذ طفولته. أو في غير ميادين القتال..

هل تورط الإسكندر في مقتل والده؟

كان من الطبيعي أن يحدث خلاف بين فيليب وزوجته الملكة أوليمبياس.. فهي لا تريده أن يتزوج عليها.. وكان من الطبيعي أيضاً أن يغضب الإسكندر لغضب أمه.. وإن كان البعض يري أن الإسكندر كانت له طموحات لا حدود لها.. وأنه كان يريد أن يغزو العالم كله وليس بلاد فارس وحدها.. وأن هذا المجد ينبغي أن يلصق به لا بأبيه.. فهو يعيش للمجد.. وخياله يحوم حول تكوين إمبراطورية شاسعة الأطراف يكون هو إمبراطورها.. لا والده الذي يريد أن يتزوج علي والدته من أجل ولي للعرش قد يخلفه علي مملكته.. ويقول بعض المؤرخين أن الملكة أوليمبياس.. قد دبرت مؤامرة مع ولدها الإسكندر للتخلص من والده فيليب.. فتم اغتيال فيليب بطعنة في إحدى حفلات الزواج..

لتستيقظ أثينا بكاملها ذات يوم من صيف عام ٣٣٦ (ق.. م) على نبأ اغتيال إمبراطورهم فيليبّوس الثاني عن عمر يناهز السادسة والأربعين.. ولم يستطع أحدٌ التعرف على كنه قاتله.. وبعد إجراءات روتينية معتادة اعتلى العرش ابنه الإسكندر.. ليجد نفسه وهو في صدر شبابه محاطاً بالأعداء من كل جانب ممن استكثروا على هذا الشاب اليافع عرش أبيه.. وأصبح مهدداً بالتمرد والعصيان من الخارج.. والمؤامرات من الداخل.. وأنقذه من كل ذلك سرعته فى التخلص مباشرة من كل المتآمرين عليه.. وأصدر حكمه على الجميع بالإعدام.

كيف استتب الأمر للإسكندر:

بمجرد ما إن ارتقى الإسكندر عرش مقدونية بعد وفاة والده حتى هبت عليه من الجنوب والشمال عواصف القلق والاضطراب.. ذلك أن الأغريق رأوا في موت فيليب فرصةً للتخلص من التزاماتهم التي ارتبطوا بها بموجب المعاهدات التي أبرموها معه.. فابتهجت أثينا لمقتله.. كما طردت حامياته من أراضيها.. واستدعت إيتولية منفييها المناوئين لفيليب.. وتأججت نار الثورة في طيبة ومعظم مدن البلوبونيز.. وكذلك الأمر في مقاطعتي تراقية والورية المتاخمتين لمقدونية من الشرق والغرب حيث أخذت تظهر أعراض تنم عن تهديدهما مقدونية نفسها.

ولم يتردد الإسكندر -الذي لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره-.. بل اتجه من فوره في صيف ٣٣٦ ق.م نحو الجنوب واسترد سلطانه على تسالية.. واختير رئيساً لحلفها مدى الحياة مكان فيليب.. كما دانت له مدن حلف كورنثة واختارته قائداً للحلف مكان والده.. وكلفته بغزو آسية الصغرى والقضاء على دولة الفرس.

ولما لم يكن في وسع الإسكندر أن يغزو آسيا.. وتراقية على وشك الثورة والورية تستعد لغزومقدونيا مع الغرب.. فإنه في ربيع ٣٣٥ ق.م اتجه صوب الشمال فقام بحملة جريئة أرغمت كل الشعوب البلقانية المشاكسة على تقديم فروض الطاعة له. وفي طريق العودة علم بأن الألوريين استولوا على أقوى القلاع التي كانت تحمي حدود مقدونية الغربية فخف إلى هناك وانزل بهم هزيمة فادحة. ولم يتابع الإسكندر هذا النصر بغزو الورية لمعاقبتها على ما أقدمت عليه.. لأن الأنباء التي وصلته من بلاد الإغريق استدعت مواجهة الموقف هناك سريعاً. وهو أمر تكتيكي دلّل فيه الإسكندر على براعته -وهو شاب- في تقدير أولويات تحركاته سياسياً وعسكرياً.

ذلك أن الديمقراطيين من مواطني مدينة طيبة -وكانوا قد عادوا من منفاهم بعد أن أبعدهم فيليب - قبضوا على زمام الحكم في وطنهم.. واستغلوا نبأً كاذباً فحواه أن الإسكندر قد قُتل.. وذلك للقيام بثورة والتخلص من السيطرة المقدونية. وعلى الرغم من أن بعض المدن مثل أثينا عاضدت طيبة في ثورتها إلا أنها لم تُقدِم على أية خطوة إيجابية.. فبقيت طيبة وحدها في الميدان. وعندما ضرب الإسكندر حصاراً حولها وطلب منها التسليم.. رفضت وحاولتالمقاومة فهُزِمَ جيشها هزيمة منكرة.. واستُبيحَت المدينة ودُمّرَت شر تدمير. وبعد ذلك عاد إلى مقدونيا للتهيئة لغزو الشرق.. بعد أن ضمن استيعاب كل مدن بلاد اليونان للدرس الذي نفذه في مدينة طيبة.

وهكذا استطاع «الإسكندر الاكبر».. وهو ما زال شابًا يافعًا في العشرين من عمره أن يسيطر تماماً على ما ورثه من ملك أبيه.. بل وتفوق عليه في اتساع طموحاته.. فلم يحلم بغزو الإمبراطورية الفارسية فقط بل إن أحلامه كانت أكثر من ذلك بكثير.. بالإضافة للطموح الكبير الذي ورثه «الإسكندر الأكبر» عن والده «فيلب» فقد ورث عنه البراعة العسكرية وموهبته الزعامة والقيادية .



الفصل الثاني : الإسكندر يسحق خصومه داخليا وخارجيا

في مقابل قوة الإغريق إحدى القوى العظمى آنذاك ..كان هناك بلاد الفرس التى كانت تحتل ما هو معروف الآن بالعراق والشام وفلسطين ومصر.. وحاولت أساطيل الفرس غزو الجزر اليونانية مما جعل ممالكهم تشعر بضرورة التوحد لمواجهة الخطر الفارسى فبرز فيليب والد الإسكندر.. فَوَحَدَ كما قلنا تلك المدن اليونانية تحت زعامته.. ثم قام بمحاولة عبور آسيا الصغرى [1] لمواجهة الفرس غير ، القدر لم يمهله فتوفيّ ليكمل المسيرة بعده ابنه الإسكندر في عام ٣٣٦ ق م وهو ما يزال في العشرين من عمره.

حملة مقدونيا واليونان:

وفي عام ٣٣٥ (ق.. م).. وكما كان مخططاً من قبل أبيه قام الإسكندر بحملة ناجحة إلى نهر دانوبا.. وعند عودته سحق في أسبوع واحد الذين كانوا يهددون مملكته من اليرانس مرورا بثيبيس (Thebes) اللتان تمردتا عليه حيث قام بتحطيم كل شيء فيها ما عدا المعابد .. وبيت الشعر اليوناني بيندار.. وقام بتحويل السكان الناجحين وكانوا حوالي ثمانية آلاف مواطن إلى عبيد.. وكانت سرعة رد فعل الإسكندر غير المتوقعة منه في القضاء على ثيبيس بمثابة تحذير غير مباشر إلى باقي الولايات اليونانية الأخرى التي سارعت إلى إعلان رضوخها على الفور.. وبعد أن تمكن «الإسكندر» من سحق انتفاضة الشعوب الإغريقية الخاضعة لسلطانه بدأ في خوض معركته الكبرى بغزو بلاد فارس التي كانت تسيطر على منطقة شاسعة من العالم القديم تمتد من البحر الأبيض إلى بلاد الهند.. وفي هذه الحملة أذهل الإسكندر الجميع !!

حملة الإسكندر على الفرس:

وفي خريف سنة ٣٣٥ عاد الإسكندر من بلاد الإغريق إلى مقدونيا ليكمل استعداداته.. واستعدادات والده فيليب من قبل.

واستدعى بارمينيون - أحد قواد والده- من آسيا الصغرى.. حيث كان والده قد أرسله سنة ٣٣٦ على رأس قوة استطلاعية.. وعاد بارمينون بعد أن قام باستبقاء قسم من قواته على سواحل الدردنيل (الهلسبونت) لتأمين رأس جسر لإنزال القوات المقدونية عندما تحين ساعة الصفر.

(١) تركيا الآن .

وفي ربيع سنة ٣٣٤ عبر الإسكندر الدردنيل.. ومعه من الجند ما يربو على ثلاثين ألفاً من المشاة.. وما يزيد على خمسة آلاف من الفرسان.. بعد أن ترك وراءه قائده العجوز أنتيباتروس (Antipatros) على رأس حوالي (٩٠٠٠) من المشاة و(٦٠٠) من الفرسان لتصريف أمور الحكم في مقدونية.. والإشراف على الحالة في بلاد الإغريق.. وإن دل هذا على شيء فهو يدل على أنه برغم أن حلف كورنثة أقام الإسكندر رئيساً عليه.. ووافق على محاربة الفرس.. فإن الإسكندر لم يثق في إخلاص الإغريق لقضيته بناء على معرفته بشدة تمسك الإغريق باستقلالهم التام.. ويخشى على مؤخرته وخطوط مواصلاته من تمرد الإغريق أثناء محاربة الفرس.

وكانت (بلاد فارس) عندما أقدم الإسكندر على غزوها هي أقوى إمبراطوريات العالم القديم آنذاك على الإطلاق.. وهى قوة مستمدة من حضارة عريقة.. ونبوغ عسكري متميز.. وكان جيش الإسكندر آنذاك لا يتجاوز عدده أربعة وثلاثين ألف مقاتل فقط.. ومن الطبيعي أن يكون مثل هذا العدد ضئيلاً جداً في حملة كتلك من المفترض أن يقابل الإسكندر فيها جيشاً لايقل تعداده بأي حال من الأحوال عن خمسة أضعاف هذا الرقم.. ولكن الإسكندر لم يعبأ بكل هذا.. وأعد للأمر عدته.. ودرسه.. ومحصه خططياً بشكل ماهر انعكس فيما بعد على خط سير المعارك التي تقابل فيها الطرفان.. فقام باختيار كل قواد الكتائب من أفراد جيشه بعناية فائقة.. ووضع لكلٍ منهم معاييراً محددة ودقيقة يعملون بها عند اختيارهم عناصر جنودهم.. كما أحسن تدريب أفراد جيشه بشكل عام على مستوى قادته.. وجنوده.. وغرس في نفوسهم الحماس القتالي.. كما كان الجنود كانوا يرون في الإسكندر مثلاً أعلى وقائداً ملهماً وبطلاً لا يُشق له غبار.. وكانوا على حق في إيمانهم بعبقرية «الإسكندر» وشجاعته النادرة.

ويبدو أن الملك الفارسي « دارا »لم يقدر مدى الخطر الذي وفد عليه من وراء البحر.. فكلف عدداً من ولاته في آسيا الصغرى بصدّ هجوم الغازي المقدوني. وبالفعل قام ولاة كل من « فورجيه » على الدردنيل.. « ولودية » « وايونية » « وكبدوكية » « وفروجية » الوسطى بإعداد قوة كبيرة بقيادة (ممنون) الرودسي.. واتخذوا لهم موقعاً منيعاً على الضفة الشرقية شديدة الانحدار لنهر جرانيكوس اتجاه مدينة لامبساكوس..

وقد أثبت «الإسكندر الأكبر» خلال المعارك التي خاضها في بلاد فارس إنه حقاً كان أعظم مقاتل في التاريخ.. فلم يخسر معركة واحدة في هذه البلاد رغم كثرة المعارك التي خاضها.

وفي البداية قابل الإسكندر جيشاً من المرتزقة الفرس.. واليونان بلغ تعداده ٤٠ ألف مقاتل.. سُحق من طالته أيدي جنوده منهم عن آخرهم.. بينما فرَّ منهم من استطاع الفرار.. وفي المقابل خسر الإسكندر ١١٠ فرداً فقط من بين جنوده.. وحدثت هذه الموقعة بالقرب من (نهر جرانيياس) وسيطر بذلك الإسكندر على ولايات آسيا الصغرى التابعة للإمبراطورية الفارسية..

مواجهة داريوس الثالث:

كان الملك الفارسي داريوس[1] الثالث الذى عاش بين عامي٣٨٠-٣٣٠ قبل الميلاد هو آخر ملوك الفترة الأخمينية في بلاد فارس.. وانتهى ملكه.. وضاع عرشه على يد الإسكندر في تلك المعركة الشهيرة التي حدثت عام ٣٣٤ قبل الميلاد.. وفر داريوس من المعركة إلى مدينة بلخ تاركاً وراءه كل شيء حتى أفراد عائلته أمه وزوجته وأولاده حيث أحسن الإسكندر معاملتهم كملوك.. ولم يهنهم.

وكان الفرس يعتمدون في حكمهم المدن الإغريقية في آسيا الصغرى على الطغاة والحكومات الأوليجاركية مع إقامة الحاميات في المراكز الحساسة وهي الطريقة نفسها التي اعتمد عليها أنتيباتروس في حكم بلاد الإغريق باسم الإسكندر. ولكن الإسكندر نهج في آسيا الصغرى بعد نصره السابق نهجاً مغايراً لذلك. وهو الاعتماد على تأييد الحكومات الديمقراطية الحرة. ومرد ذلك إلى أن الديمقراطيين كانوا يكرهون حكامهم الطغاة والأوليجاركيين وكذلك الفرس الذين أقاموا عليهم أولئك الحكام.. وإلى أن أعداء الفرس كانوا أصدقاء الإسكندر بحكم المصالح المتبادلة.. ولهذا فإن الفاتح المقدوني أعلن أنه قد أتى للقضاء على الحكومات الأوليجاركية وإعادة الديمقراطية.. والسماح لكل مدينة باسترداد حقها في الحرية والتمتع بقوانينها الخاصة التي كانت لها قبل خضوعها لسلطان الفرس.

وكان من جراء هذا الإعلان أن الديمقراطيين قاموا بالاستيلاء على مقاليد الأمور في مدينة إغريقية بعد أخرى.. وبطرد الحكومات الموالية للفرس.. وعلى هذا النحو اكتسب الإسكندر ولاء هذه المدن وضمن خطوطه الخلفية قبل متابعة زحفه جنوباً صوب سوريا

ودلل الإسكندر هنا مرة أخرى على حسن تقديره للأمور.. وذلك بعدم تعريض نفسه لمجازفة الاشتباك مع الأسطول الفارسي الذي كان يبلغ ثلاثة أضعاف أسطوله بل قرر تسريح هذا الأسطول لعجز موارده عن تحمل نفقات أسطول لا يجنى من ورائه فائدة مجزية لحملته.. ورأى أن خير وسيلة للقضاء على الأسطول الفارسي هي الاستيلاء على قواعده البرية في آسية الصغرى وسورية ومصر ليحجب عنه أي مدد أو مساعدة.. وتبعاً لذلك فإنه بعد نصره في معركة جرانيكوس.. استولى على أفسوس وملطيه ثم على هاليكارناسوس بعد أن دافع عنها أهلها بضراوة بقيادة ممنون قائد المرتزقة والأسطول الفارسي الذي لجأ إلى المدينة بعد هزيمته في معركة جرانيكوس.

(١) تُنطق وتُكتب في بعض المصادر داريوش .

تفاصيل معركة (أسيوس):

وفي مارس سنة ٣٣٣ ق.م واجه الإسكندر بنفسه جيش الفرس بقيادة داريوس في شمال شرق سوريا.. ولم يكن معروفاً كم عدد جيش داريوس لكن هناك بعض المصادر تقول أنه كان قوامه لا يقل عن حوالي نصف مليون جندي.. في حين يعتبر بعض المؤرخين هذا العدد مبالغ فيه بشكلٍ كبير.. ودارت المعركة بين الجانبين فيما عُرِفَ بموقعة (أسيوس) وانتهت بنصر كبيرٍ للإسكندر وبهزيمة داريوس هزيمة نكراء.. ففَرَ شمالاً تاركاً ما تبقى من جيشه ومملكته. وبعد استيلاء الإسكندر على مناطق سوريا الداخلية وحتى نهر الفرات اتجه نحو الساحل السوري غرباً ومن سوريا اتجه جنوباً نحو مدينة صور[١] المحصنة بحرياً بشكل جيد.. وبعد حصار دام سبعة أشهر تمكن الإسكندر من اقتحام المدينة.. والاستيلاء عليها.. بعدها زحف صوب مدينة (غزة).. وسيطر بذلك على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط .

وقام الإسكندر بإنفاذ عدد من خيالته ومشاته للهجوم على ميمنة العدو في حين قاد بنفسه ما تبقى من جنده وقام بعبور النهر فجأة عند التقاء ميسرة العدو مع قلبه وتحطيم مقاومة الفرس الذين قاوموه مقاومة يائسة فقتل منهم وأسر عدد كبير وفر الباقون. وهكذا تحطم الجيش الفارسي الذي تصور الملك الأكبر أنه كان في وسعه الدفاع عن آسية الصغرى بأسرها حتى جبال طوروس. ولم يبق أمام الإسكندر إلا الاستيلاء على المواقع المنيعة التي بها حاميات فارسية أو مرتزقة إغريق في خدمة الفرس.

وفي هذه الموقعة التى تعتبر إحدى أعظم مواقع التاريخ استطاع الفيلق المقدوني إثبات قدرته القتالية وفعاليته تجاه الأنماط التقليدية للحرب القديمة.. وهزم جيش دارا هزيمة قاسية.. وتفرقت فلوله في كل حدب وصوب.. وقاد الملك المهزوم بقايا جيشه باتجاه الشرق للاستعداد للمعركة المقبلة تاركاً أمه وزوجه وابنتيه وعدداً من جواريهما في قبضة الإسكندر الذي تذكر المصادر أنه عامل الجميع معاملة حسنة وتزوج فيما بعد بإحدى بنات دارا.

(١) صُوْر (Tyre) هي مدينة بحرية لبنانية مركز قضاء صور أحد أقضية محافظة الجنوب. تقع على شاطيء البحر الأبيض المتوسط و تعتبر من أشهر حواضر العالم عبر التاريخ للدور التي لعبته في الحقبة الفينيقية إن كان من ناحية سيطرتها على التجارة البحرية،إنشائها المستوطنات التجارية حول المتوسط، نشر الديانات في العالم القديم، إنشاء مستوطنة قرطاجة التي قارعت الدولة الرومانية، أو مقاومتها لزحف الإسكندر المقدوني.

حصار مدينة بابل:

حوصرت مدينة بابل بعد معركة (جاوجاميلا) و كذلك مدينة سوسا حتى فُتِحت فيما بعد.. وبعد ذلك وفي منتصف فصل الشتاء اتجه الإسكندر إلى بيرسبوليس عاصمة الفرس.. حيث قام بحرقها بأكملها انتقاماً لما فعله الفرس في أثينا في عهد سابق.. وبهذا الاجتياح الأخير الذي قام به الإسكندر أصبحت سيطرته تمتد إلى خلف الشواطئ الجنوبية لبحر الخزر متضمناً أفغانستان وبلوشستان الحديثة وشمالاً من باكتريا وسوقديانا[1] .

كل ذلك أخذ من الإسكندر ثلاث سنوات فقط بدءاً من ربيع عام ٣٣٣ إلى ربيع عام ٣٣٠ ليفتح كل هذه المساحات الشاسعة.. وحتى يقضي تمامًا على بقايا إمبراطورية الفرس التي كانت تحوي جزءاً من غرب الهند.. عبر نهر اندوس في عام ٣٢٦ (ق.. م) فاتحاً بذلك البنجاب التي تقرب من نهر هايفاسيس والتي تسمى الآن بياس وعند هذه النقطة ثار المقدونيون ضد الإسكندر ورفضوا الاستمرار معه فقام ببناء جيش آخر ثم أبحر إلى الخليج العربي ثم عاد براً عبر صحراء ميديا بنقص كبير في المئونة فخسر عدداً من قواته هناك.بعدها أمضى الإسكندر حوالي سنة وهو يعيد حساباته ويرسم مخططاته ويحصي المناطق التي سيطر عليها في منطقة الخليج العربي للاستعداد لاجتياح شبه الجزيرة العربية.

وبعد استسلام معظم مقاطعات آسية الصغرى ومدنها الرئيسية وتعيين عدد من قادته على الولايات التي أخضعت.. خف الإسكندر شمالاً للانضمام إلى قوات قائده بارمنيون عند جورديوم.. حيث انتظر وصول الإمدادات من مقدونيا وحدث عندئذ أن مات ممنون الرودوسي قائد الأسطول الفارسي والمحرك الأول للمشاكل وللثورات ضد الإسكندر.. وكان خليفته أقل منه حنكة وقوة.. وزاد في ضعفه أن « دارا » انقص قواته نقصاً كبيراً فبقي في قيادته مكتوف الأيدي بقوات رمزية.

ومن جورديوم اتجه الإسكندر في زحفه شمالاً صوب أنقرة.. حيث وفد عليه مبعوثون من بعض الولايات البعيدة لتقديم فروض الطاعة.. وإزاء زوال خطر ممنون.. والاستعدادات التي بدأ« دارا » يتخذها خف الإسكندر جنوباً لاحتلال البوابات الكيليكية (إحدى مداخل سوريا من الشمال) ذات الموقع الاستراتيجي الهام .. وبعد الاستيلاء عليها اتجه إلى مدينة طرسوس.. وفيها أصابته حمى شديدة استطاع طبيبه فيليب الأكارناني معالجته منها وبعد شفاء الإسكندر أوفد بارمنيون على رأس قوات للاستيلاء على الممرات المؤدية إلى سهل أسوس.. ولحق به عندما علم بوصول دارا إلى منطقة بحيرة أنطاكية حاليًا تسمى بحيرة العمق .

(١) هي الآن غرب تركستان وكذلك تعرف بآسيا الوسطى..

ولعله من المناسب هنا أن نتوقف قليلاً لنشير في إيجاز إلى أنه قبل متابعة الإسكندر زحفه إلى ما وراء آسية الصغرى وضع نظماً مؤقتة -إدارية ومالية وعسكرية- للبلاد التي فتحها هناك: وأمام ضيق الوقت استبقى معظم النُظم الإدارية الفارسية مع إجراء بعض التعديلات الطفيفة. وإذا كنا سنرى أنه في الولايات الشرقية حاول الإسكندر الفصل بين السلطات المدنية والعسكرية والمالية.. فإنه في الولايات التي فتحها في آسيا الصغرى اكتفى بإقامة مشرفين ماليين مستقلين تاركاً للولاة المقدونيين الذين أقامهم بدلاً عن الولاة الفرس الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية.

وحرص الإسكندر على التودد إلى المدن الإغريقية ضماناً لاستقرار الأمور لصالحه.. ذلك أن كل مدينة كان شعبها أو الإسكندر يعيد إليها الحكم الديمقراطي وكان الإسكندر يعفيها من الضريبة التي اعتادت دفعها للملك الفارسي.. وفضلاً عن ذلك فإن الإسكندر ضم على الأقل بعض هذه المدن إلى الحلف الهليني (كورنثة) الذي كان يرأسه ولم يكن معنى إعادة الإسكندر للدمقراطية في مدن آسية الصغرى السماح بالعودة إلى النزاعات والصراعات الحزبية القديمة.. ولعل تدخل الإسكندر في مدينة افسوس وجزيرة خيوس لوقف هذا الصراع وقتل الخصوم السياسيين ومنع اتهام أحد مستقبلاً بميوله الفارسية يُعد بمثابة دليلاً قاطعاً على حرص الإسكندر على أن يسود الوئام بين الإغريق.. وكذلك بين الإغريق والفرس.

وبعد تنظيم شؤون المناطق المفتوحة.. وضمان خطوط مواصلاته وتثبيت حلفاء له في المدن الإغريقية..لم يقتف الإسكندر أثر « دارا » وإنما اتجه صوب فينيقية لتحطيم قواعد الأسطول الفارسي المسيطر على بحر ايجة والاستيلاء عليه والذي كان ينطلق في معظمه من المدن على الساحل السوري.

الإسكندر في سوريا:

وفي أول الساحل السورى أعاد الإسكندر تأسيس (مرياندروس) الفينيقية القديمة وأسماها الإسكندرية (حالياً الإسكندرونة) ثم تقدم نحو (ماراثوس) [1] فاستقبله فيها استراتون نائب ملك أرواد والساحل المقابل له.. وقدم له تاجاً من ذهب متنازلاً له عن أرواد وماراثوس ومملكته كلها.. وذلك في الوقت الذي كان فيه والده (جروستراتوس) وعدد من ملوك فينيقية وقبرص فضلاً عن قائدي البحرية الفارسية في بحر إيجه ينتظرون الأوامر للتحرك بمساعدة آجيس ملك أسبرطة.

وفي ماراثوس كلف الإسكندر بارمنيون بالاستيلاء على دمشق.. وكانت المدينة الرئيسة في سورية الداخلية.. وبدون قتال تم الاستيلاء على دمشق حيث استولى بارمنيون أيضاً على مهمات جيش دارا وعتاده.. وكانت قد أرسلت إلى هذه المدينة أثناء موقعة أسوس.. وقد أسهمت هذه الأسلاب في وضع حد للمتاعب المالية التي كان الجيش المقدوني يعاني منها.

(١) حاليًا تسمى (عين الحية ـ أو عمريت) .

وفي ماراثوس أيضاً تسلم الإسكندر رسالة من دارا يعرض عليه فيها إطلاق سراح أسرته مقابل التحالف والصداقة.. ولكن الإسكندر رفض هذا العرض وأذاع إعلاناً سياسياً أورد فيه الأسباب المبررة لقيامه بغزو الإمبراطورية الفارسية وركز فيه على قيام « إكسركس » بغزو بلاد اليونان قبل حوالي قرن من الزمن وقيام دارا نفسه بالتدخل في شؤون بلاد اليونان.. وأعلن في الختام أنه الملك الفعلي لآسيا بموجب حق الفتح والغلبة.

وغادر الإسكندر ماراثوس صوب الجنوب.. حيث بلغه نبأ استسلام جبيل وترحيب سكان صيدا به الذين لم ينسوا تحول المدن الفينيقية عنهم أثناء محنتهم مع الفرس سنة ٣٤٤ ق.م فدخل هذه المدينة العريقة وأعاد إليها ممتلكاتها ودستورها الخاص.. ثم تابع زحفه جنوباً.. وفي الطريق استقبل وفداً من سكان صور جاءه عارضاً عليه في غياب ملكهم المرافق للأسطول الفارسي استسلام مدينتهم.. بيد أنه عندما طلب الإسكندر السماح له بدخول المدينة ليقدم القرابين لما زعمه بأنه جده الأعلى الإله «ملقارت» رفض الصوريون طلبه.

ورداً على هذا الرفض.. حاصر الإسكندر المدينة سبعة أشهر تعرض خلالها لمقاومة عنيفة وبخاصة خلال محاولته إقامة الأبراج في البحر للوصول إلى ميناء المدينة إلى أن استطاع في أواخر يوليو سنة ٣٣٢ ق.م اختراق أسوار المدينة بهجوم بري وبحري عام والاستيلاء عليها بعد مقتل ثمانية آلاف من سكانها وأسر ما يقرب من الثلاثين ألفاً بيعوا في أسواق النخاسة.. وانتقم الإسكندر من المدينة فجعلها مركزاً لحامية مقدونية.. ولما كان الإسكندر قد أبقى على الملكية في صيدا.. فقد آلت إليها زعامة الساحل السوري.. وفي أثناء حصار صور تسلم الإسكندر إمدادات من جميع قطع الأسطول الفينيقي (فيما عدا القسم الذي كانت تسهم به صور).. كما وصلت إليه سفن قبرصية.. وكان من نتيجة ذلك ومن نتيجة سقوط صور وتدمير أسطولها أن الأسطول الفارسي فُقِد منه أفضل سفنه.. ولم يعد يشكل ذلك الخطر الكبير الذي كان الإسكندر يخشاه.

وفي أثناء حصار الإسكندر لصور تسلم رسالة ثانية من دارا عارضاً عليه فيما عرضه محالفته والنزول له عن كل إمبراطوريته غربي الفرات ودفع مبلغ عشرة آلاف «وزنة» فدية لأسرته إضافة إلى زواجه من ابنته.. ولكن الإسكندر رفض عروض دارا كلها ورد عليه رداً قاسياً وحاسماً.. وتابع مسيره الساحلي في اتجاه مصر بعد أن ترك بارمنيون في دمشق لتنظيم شؤون سورية إدارياً وعسكرياً ومالياً.

ويبدو أن غزة لم تتعظ بمصير صور فامتنعت عن التسليم اعتماداً على مناعة أسوارها.. وتأييد حلفائها من الأعراب.. وقاومت غزة الإسكندر مدة شهرين كاملين خلال صيف ٣٣٢ق.م إلى أن استطاع اقتحامها والاستيلاء عليها.. وقتل الكثيرين من أهلها وأسر الباقي.. ولابد من الإشارة هنا إلى أن معظم المؤرخين المعاصرين يشككون في صحة زيارة الإسكندر لبيت المقدس وهي الزيارة التي ذكرها أحد المؤرخين اليهود ولم يرد لها ذكر عند غيره من المؤرخين القدامى.

وبعد أن فتح الإسكندر بلاد فارس وكل تلك البلاد أصبح هو حاكمها المطلق.. واتخذ له لقب سيد آسيا.. ولكن طموح الملك الشاب لم يتوقف بل سار بجيشه حتى وصل إلى الهند وأواسط آسيا.. وبينما كان الإسكندر عند منطقة الخليج العربي فاجأه المرض الذى لم يدم طويلاً حيث داهمه الموت بعد عشرة أيام وهو لم يتجاوز الـ٣٣ من العمر ليتم نقل جثمانه إلى مصر ليدفن في الإسكندرية والتى لم يحالفه الحظ لرؤيتها مرة أخرى..



الفصل الثالث : الإسكندر في مصر

بعد تحطيم غزة.. تابع الإسكندر طريقه إلى مصر فوصلها في أواخر (نوفمبر) ٣٣٢ق.م .. فاستسلم (مزاكس) والي مصر الفارسي في العاصمة ممفيس وسلم الإسكندر كافة كنوز مصر لعلمه اليقيني بعجزه عن مقاومة الإسكندر بعد هزيمة مولاه وهربه وسيطرة الإسكندر على سورية.. ولاسيما أنه كان لا يستطيع الاعتماد على مساندة الشعب المصري الذي كان يكره الفرس كرهاً شديداً. وهكذا آلت مصر إلى الإسكندر بدون قتال.. ولما كان المصريون يحقدون على الفرس لانتهاكهم حرمة ديانتهم.. فقد كان أول عمل قام به الإسكندر عندما حط رحاله في العاصمة المصرية ممفيس (منف) هو أن يظهر احترامه للديانة المصرية. ولذلك قدم القرابين في معبد (فتاح) **Ptah** للآلهة الوطنية والعجل المقدس (أبيس) **Apis** ورَسَمَ نفسه فرعوناً طبقاً للطقوس الدينية المصرية.. ونظراً للقسوة الشديدة التى كان يعاني منها المصريون تحت نير الاحتلال الفارسى.. استقبل المصريون (عام ٣٣٢ ق م) الإسكندر الأكبر وجيشه بترحاب كبير.. وبعد أن زار مدينة منف وتم تتويجه ملكاً على مصر.. ثم قام بزيارة معبد آمون بواحة سيوة حيث أجرى الكهنة طقوس التبنى ليصبح الإسكندر ابناً للإله آمون.. وفي طريقه إلى سيوة.. أعجبته تلك الأرض الممتدة بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط وتلك الجزيرة الممتدة أمام الشاطئ فأمر ببناء مدينة هناك لتكون نقطة وصل بين مصر واليونان.

فكيف سارت الرحلة بأحداثها مع الإسكندر؟

نعيشها معه بأحداثها خطوةً .. خطوة..

عند دخول «الإسكندر المقدوني» مصر عام ٣٣٢ (ق.. م) كانت مصر تحت حكم الفرس بعد سقوط الدولة الحديثة في العصرالفرعونى.. وتعرضها للنفوذ الأجنبي الليبي ثم النوبي ثم الآشوري.. وأخيراً الفارسي حتى جاء الإسكندر وقضى على حكم الفرس فيها.. وضمها إلى إمبراطوريته بعد نجاحه فى هزيمة الفرس فى آسيا الصغرى.. واستتب له الأمر بها وتم له ما أراد عام ٣٣٣ (ق.. م)..

ويمكننا القول أنه مع دخول الإسكندر الأكبر مصر انتهى حكم الفراعنة من الأسرة الثالثة.. وقد تَوَجَ الإسكندر نفسه ملكاً على منهج الفراعنة ووضع أساس مدينة الإسكندرية.. ثم حجَ إلى معبد آمون فى واحة سيوة والذي كان يتمتع بشهرة عالمية واسعة فى ذلك الوقت.. ورحب المصريون بالإسكندر.. لأنهم ظنوا أنه جاء بجنده ليخلصهم من حكم الفرس.. وبسبب معرفتهم للإغريق الذين عاشوا فى مصر.. والتحق الكثير منهم بجيش مصر كجنود مرتزقة ..

تأسيس مدينة الإسكندرية:

كانت أولى خطوات الإسكندر في مصر هو تأسيسه لمدينته الجديدة «الإسكندرية» ونقول بدايةً أن المصريون القدماء لم يكونوا يعرفون عن موقع الإسكندرية الحالى أكثر من كونه منطقة تحيط بالميناء التجاري لمصر القديمة.. ينتهي عندها فرع قديم لنهر النيل – اندثر تماماً الآن - وهو الفرع الكانوبي[1]..

والآن يتوقف الإسكندر.. عند قرية مصرية على ساحل البحر المتوسط.. هي«راقودة».. ومنها يطلّ على جزيرة صغيرة في مواجهتها.. هي «فاروس».. والتمعت بذهنه صورة مدينة جديدة.. وقال كلمته المأثورة «هنا سأبني مدينتي التي حلمت بها»..

وكانت تلك المنطقة تسمى « رع قدت » كاسم مختصر لمنطقتي (راقودة + وراكوتيس) تقع المنطقة التى اختارها الإسكندر لبناء مدينته الإسكندرية على لسان من الأرض بين البحر وبحيرة مريوط.. وعلى كل من جانبي هذا اللسان ميناء.. ولم يكن هذا المكان عند بداية القرن الرابع قبل الميلاد سوى تلالاً من الرمال البيضاء.. وبحر واسع وجزيرة ممتدة أمام الساحل الرئيسي تدعى فاروس.. بها ميناء عتيق.. وعلى الشاطئ الرئيسي قرية صغيرة تدعى راكتوس يحيط بها قرى صغيرة أخرى تنتشر كذلك ما بين البحر وبحيرة مريوط.. يقول عنها علماء الآثار أنها ربما كانت تعتبر موقع استراتيجي لطرد الأقوام التى قد تهجم من حين إلى آخر من الناحية الغربية لوادي النيل أو لربما كانت «راكتوس» مجرد قرية صغيرة تعتمد على الصيد ليس إلا.

هذا هو وصف المكان كما هو معروف الآن بمدينة الإسكندرية التي كانت بلا منازع ولقرون طويلة مركز الفكر في العالم القديم.. وأشهر مدينة على البحر المتوسط وبالتحديد عند ما يعرف الآن ببلاد اليونان حيث كانت وقتها مجرد مدن إغريقية متفرقة وقوية.

وبعد أن قال الإسكندر كلمته السابقة أمر مهندسيه بالبدء في التنفيذ. وقام فيما بعد بوضع تصميمات المدينة وكان في مقدمة المهندسين المهندس دينوكراتيس المقدوني (DEINOCRATIS).. فاختار لها النمط الشبكى المتعاقد حيث قام بعمل شارعين رئيسيين متقاطعين فى زاوية قائمة ثم خطط شوارع أخرى فرعية تتوازى مع كل من الشارعين مما يجعل ساحة الأرض أشبه برقعة الشطرنج وهو التخطيط الذى شاع استخدامه فى العديد من المدن اليونانية منذ القرن الخامس قبل الميلادى.

(١) كان آخر تفريعات دلتا النيل.. إلى الغرب.. والجدير بالذكر.. أن عدد فروع النهر كان سبعة.. جفَّ منها خمسة.. حتى القرن التاسع الميلادي.. ولم يتبق غير فرعيَّ رشيد ودمياط الحاليين.

وتم ضم القرية والجزيرة معاً.. وبدأ المهندس دينوكراتيس بمد جسر يربط بين الجزيرة التى سميت فيما بعد باسم جزيرة فاروس نظراً لإنشاء فنار الإسكندرية [1] على الطرف الثانى الشرقى لها.. ويمتد هذا الجسر بين الجزيرة والمدينة الأم.. وكان طول هذا الجسر سبع أستا ديات أي ما يقرب من ١٣٠٠ متر - لذلك كان يُعرف بالهيبتاستاديوم أى السبع ستاديات وكان يقسم المياه أمام المدينة الجديدة - الإسكندرية - إلى حوضين الميناء الشرقية.. والميناء الغربية.. وكانت الأولى هي الميناء الرئيسية.. فهي التي تستقبل أهم السفن الحربية والتجارية.. وتحيط بها القصور والحدائق والمباني الحكومية.. فيما كان يُسمَّى بالحيِّ الملكي.. وهذه المنطقة هي التي حكمت مصر بعد ذلك لمدة ٢٩٨ سنة[2].

وبعد تتويجه فرعوناً على مصر في مدينة منف.. وفي أثناء سيره بالقرب من فرع النيل المار ناحية قرية راقودة.. لفت نظر الإسكندر وجود منطقة هي عبارة عن ساحل منخفض عليه جزيرة صغيرة بعيدة عنه أقيم عليها قرية لا أهمية لها يسكن فيها جماعة من صيادي الأسماك.

وقد عهد الإسكندر الأكبر إلى مهندسه الروديسى[3] دينوكراتيس بتخطيط مدينة الإسكندرية فى تلك المنطقة التى كانت تسمى « رع قدت » فاختار لها النمط الشبكى المتعاقد حيث قام بعمل شارعين رئيسيين متقاطعين فى زاوية قائمة ثم خطط شوارع أخرى فرعية تتوازى مع كل من الشارعين مما يجعل ساحة الأرض أشبه برقعة الشطرنج وهو التخطيط الذى شاع استخدامه فى العديد من المدن اليونانية منذ القرن الخامس قبل الميلادي .. وبدأ المهندس دينوكراتيس بمد جسر يربط بين الجزيرة التى سميت فيما بعد باسم جزيرة فاروس نظراً لإنشاء فنار الإسكندرية - أحد عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم - على الطرف الثاني الشرقي لها.. ويمتد هذا الجسر بين الجزيرة والمدينة الأم.. وكان طول هذا الجسر سبع أستا ديات أي ما يقرب من ١٣٠٠ متر - لذلك كان يُعرف بالهيبتاستاديوم أى السبع ستاديات وجعل به فتحتان كبيرتان للملاحة .. ونتيجة لإنشاء هذا الجسر أصبح هناك ميناءان أحدهما شرقي والآخر غربي.

---

(١) أحد عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم.

(٢) بدايةً بحكم بطليموس الأول.. القائد المساعد للإسكندر الأكبر.. الذي جاء معه إلى مصر.. وعيَّنه أوَّل حاكم للإسكندرية.. حتى كليوباترا السابعة.. آخر ملوك البطالمة.. وأشهرهم على الإطلاق.. والتي انتهى حكمها بمعركة «أكتيوم» الشهيرة سنة ٣٠ ق.. م حيث هزمها أوكتافيوس.. وأصبحت مصر - بعدها - مستعمرة رومانية.

(٣) نسبة إلى كون موطنه الأصلي هو روديسيا.

وتم حفر ترعة شيديا أو « سيخديا » عقب تأسيس المدينة لتوصيل المياه العذبة من الفرع الكانوبي إلى مدينة الإسكندرية حيث تصب فى الميناء الغربي ..

وتم تقسيم المدينة إلى خمسة أحياء حملت حروف الأبجدية اليونانية الأولى ألفا- بيتا -جاما - دلتا - إبسيلون والتي تمثل الحروف الأولى من خمس كلمات يونانية وترجمتها « شيدها الإسكندر الملك ابن الآلهة » ومن أهم هذه الأحياء «الحي الملكي - البروكيون » «حى ألفا » ..« الحي الوطني » « حى ابسليون » حى اليهود حى دلتا.

ويمتد الشارع الرئيسي من الشرق إلى الغرب فى وسط المدينة وهى المعروف بشارع كانوب شارع فؤاد حالياً وكان أهم طرق المدينة وتمر به الاستعراضات العسكرية فى الاحتفالات .

أما الشارع الرئيسي الشمالي الجنوبي شارع السيما [1]فكان يتقاطع مع الشارع الكانونى فى منتصف المدينة تقريباً .

أسوار الإسكندرية وشوارعها:

خطط المهندسون الإغريق شوارع المدينة الجديدة على شكل خطوط مستقيمة ومتقاطعة.. وكانت أطوال أسوارها القديمة حوالي خمسة عشر كيلو متر عليها أبراج حراسة على مسافة متفاوتة تبدأ من رأس لوخياس إلى الداخل حتى منطقة الحضرة حاليًا ثم تمتد بمحاذاة البحر حتى الميناء الغربية .

وحدد سترابون أن طول المدينة حوالي ٣٠ ستاديوم ١٥ كم تقريباً وعرضها ما بين سبعة إلى ثمانية ستاديوم ١٤٠٠ - ١٥٠٠ كم .

وكانت شوارعها تمتد في خطوط مستقيمة متقاطعة.. وحدد الشارع الرئيسي للمدينة وهو الشارع الكانوبي.. والشارع المقاطع له.. ويمتد من رأس لوخياس حتى ترعة سخيديا.

ترعة سخيديا:

كانت تمد الإسكندرية بمياه الشرب.. وهي تتفرع من النيل عند سخيديا على بعد حوالي ٢٧ كم من الإسكندرية.. وتتخذ مساراً يشابه ترعة المحمودية.. وتفرعت هذه القناة إلى فرعين أحدهما يسير بمحاذاة الشاطئ الى كانوبوس.. والآخر يلتف حول الإسكندرية من الجنوب ثم يصب في الميناء الغربية .

(١) حاليًا النبي دانيال .

ميناء الإسكندرية النهري :

ويقع على بحيرة مريوط التي كانت تصب فيها العديد من القنوات الآتية من نهر النيل .. وقد أحيطت المدينة بأسوار ضخمة.. وتم إنشاء منطقة المقابر خارجها فى منطقتين:

الأولى : غرب المدينة..

والثانية : فى شرقها ما بين الشطبى وكامب شيزار حالياً..

والسور كانت له بوابتان البوابة الشرقية.. أطلق عليها «بوابة الشمس» والبوابة الغربية.. أطلق عليها «بوابة القمر» ..

وكان من أهم مميزات مدينة الإسكندرية سهولة وصول مياه الشرب إليها وقربها من بحيرة مريوط.. التي لا تبعد عن الشاطئ بأكثر من ميل واحد.. وهي التي عرفت باسم جزيرة فاروس .. هذا بالإضافة إلى جفاف المكان.. وارتفاعه عن مستوى الدلتا.. وبعده عن الرواسب التي يأتي بها فرع رشيد المتفرع من نهر النيل العظيم .

مقاصد الإسكندر من بناء المدينة:

تمثلت مقاصد الإسكندر من بناءه لمدينة الإسكندرية فى عدة نقاط .. حصرها المؤرخيون فيما يلي:

هدف حضاري:

أراد الإسكندر المقدوني أن تُقام مدينته الجديدة على أسس الحضارة الإغريقية.. لينشر من خلالها شمس تلك الحضارة العريقة التى كان يؤمن بها.. ويحلم بنشرها على كافة مستويات العالم .

ولأن «الإسكندر» عمل على أن تكون مدينته مركز إشعاع للحضارة الإغريقية.. ونشرها فى أنحاء العالم.. ففكر فى تكوين حضارة جديدة تجمع بين مزايا حضارة مصر وبلاد الشرق القديم.. وحضارة الإغريق.. وقد سُميت تلك الحضارة الجديدة فيما بعد باسم «الحضارة الهلينستية» وكانت مدينة الإسكندرية مركزاً لنشر هذه الحضارة.

هدف تجاري:

كان الإسكندر قد حطم ميناء صور وهو في اتجاهه إلى مصر.. ومن ثم أصبح في حاجة ماسة إلى تأسيس ميناء جديد يعوض مكانة ذلك الميناء تجارياً.

استثمار علاقات وموقع مصر الاستراتيجي:

كنتيجة لتفهم الإسكندر التام لأهمية موقع مصر الاستراتيجي.. كان لديه رغبة قوية في استثماره لأقصى درجة ممكنة.. خاصةً فيما يتعلق علاقة مصر بعالم بحر إيجة.. والتي كانت في تطور متزايد منذ عدة قرون سبقت ذلك التاريخ من حيث قدوم الإسكندر منذ أيام الفراعنة.. فأراد الإسكندر أن يوثق هذه العلاقة .. ولتحقيق ذلك فقد أنشأ ميناءًا كبيراً يطل على بحر إيجة.

الهدف الرئيسي:

بينما تمثل هدف «الإسكندر» الرئيسي من بناء مدينة الإسكندرية في اتخاذها عاصمةً له.. وللحكم اليوناني في مصر.

مينوتيس وهراقليوم:

إلى جوار كانوب.. كانت هناك مدينتان صغيرتان.. هما مينوتيس وهراقليوم.. وكانت المنطقة.. كحال الموانئ في كل العصور.. مركزاً للنشاط التجاري.. قبل أن يصل الإسكندر وينشئ الإسكندرية.. التي لم تلبث أن احتلَّت الصدارة[1].

زيارة الإسكندر الأكبر لسيوه:

لم يكن الإله آمون رع ومعبده في واحة سيوة له شأن يذكر في العهد المتأخر من تاريخ مصر.. إلي أن جاء الملك «أوكوريس» وأعاد من جديد عبادة هذا الإله.. وأعطاه طابعاً مصرياً بعد أن توطدت العلاقات بين مصر واليونان.

ولما كان هذا المعبد يقع في الطريق الي مستعمرة «قورينة».. وتقع علي الساحل الإفريقي قبالة بلاد اليونان فقد أصبح بمضي الزمن إلهاً من آلهة الإغريق.. ومن هنا اكتسب المعبد أهميته من موقعه.. فصار قبلة الملوك والشعراء من الإغريق وغيرهم.. ومن المؤكد أن الإسكندر سمع منذ الصغر عن الأسطورة الشعبية للبطلين «هيراقليس» و«برسيوس» وقد اكتسب كل منهما صفة الشجاعة.. لأنهما كان يذهبان إلي آمون سيوة يطلبان منه النصح قبل أن يقدما علي أعمالهما الخارقة.. ويقول «كلثنيس» مؤرخ الإسكندر أن ذكري هذين البطلين كانت أحد الأسباب القوية التي حملت الإسكندر علي أن يقدم علي هذه الرحلة تأسيًا بقصة البطلين الإغريقيين.. ولكي يتخذ من وحي آمون قوة دافعة الي الاستمرار في حملته العسكرية نحو الشرق.. وهناك قدم الإسكندر القرابين.. فمنحه الكهنة لقب «ابن آمون».

---

(١) فيما بعد ومع مجيئ المسيحية.. عادت المنطقة إلى الازدهار.. كضاحية للعاصمة – الإسكندرية – وحصلت على اسمها الحالي من قدِّيس عاش بها ودُفن بأحد كنائسها.. وكان اسمه أباكير..

وهكذا نرى أن (آمون-رع) اكتسب شهرة فائقة في غوث من يقصده ـ بحسب معتقدات هذا الزمان ـ ولا يضن بالنصح لمن يشعرون بالحاجة إلي النصح المقدس.. وكانت شهرة آمون سيوة بين الإغريق أضعاف شهرته بين المصريين.. لدرجة أن الإغريق قرنوا بينه وبين كبير الآلهة عندهم «زيوس» فصار اسم معبود سيوة «زيوس آمون».

ولم يكن الإسكندر هو أول من يغزو مصر ليكون من بين أهدافه الأساسية زيارة معبد العظيم ووسيط وحي آلهة الشمس آمون-رع فى واحة سيوة.. فقد عرض الملك الفارس «قمبيز »حياته للضياع في البيداء قبل قرنين من الفتح المقدوني.

وكان الإسكندر يرى في رب أرباب المصريين «آمون» فى الواحات أنه أكثر تأثيراً.. وأهمية من يذهب إليه في طيبة «الأقصر» .. وأراد أن يذهب إليه في بيته الأساسي وهو المركز الروحي لعبادته في سيوة.. خاصةً أنه كان يستطيع وهو في «منف» أن يذهب إليه في طيبة بدلاً من اختراق الصحراء في رحلة شاقة.. ومضنية استغرقت منه مئات الأميال.. ووقتاً طويلاً.

وفي ربيع عام ٣٣١(ق.. م).. قام الإسكندر بما نستطيع تسميته مجازاً الحج إلى معبد (آمون-رع) .. وبدأ رحلته من الإسكندرية مستأنفاً السير في الصحراء ليصل بعد عشرين يوماً إلي واحة آمون «سيوة» ويلقي بنفسه في أحضان المعبود الذي طبقت شهرته أنحاء العالم القديم.

وخرج الإسكندر بموكبه من الإسكندرية يصحبه بعض رفاقه مع وحدات من الجيش متجهاً إلى ناحية الغرب إلى باراتونيم (مرسى مطروح) حاليا ومنها إلى جنوب في طريق القوافل المعروفة باسم سكة السلطان..

ويحكى أنه بعد أيام نفذ الماء الذي معهم واستولى الرعب الجميع وحاوروا فيما يفعلون إلا أنه فجأة هطلت أمطارٌ غزيزة مع أن هذه المنطقة نادرة المطر وبذلك استطاعوا ملئ جرارهم من السيل.. ولكن بعد عدة أيام هبت عاصفة رملية شديدة من الجنوب وضاعت معالم الطريق وفجأة ظهر لهم طائران يحلقان في السماء وفى الحال أصدر الإسكندر أوامره بأن تتبعهم القافلة قائلاً:

«إن هذين هما رسولان من آمون»

وعلى هدى الطائرين وصلوا إلى سيوه ويبدو أن الإسكندر لم يخبر كهنة أمون بهذه الزيارة ولذلك ظهر الاندهاش عندما رأى أهل سيوة وكهنة أمون القافلة القادمة وفى الحال خرج الكهنة لاستقباله عند البوابة وصاحبوه حتى معبد أمون.. وعلى بابه وجد الكاهن الأكبر يدعوه أن يدخل إلى الصومعة الداخلية لكى يستشير آمون بنفسه إكراماً لشخصه.. ومكانته.. ولما خرج بدا عليه السعاده والرضى.. ولما سأله رفاقه بعد ذلك عما حدث رفض أن يبوح بشئ من هذه الأسرار وأعلن أنه لن يبوح بها إلا لأمه.. ولكن مات الإسكندرقبل أن يصل إلى أمه .. ودفن وهو يخبئ في صدره الأسرار التي قالها له أمون..

عودته للإسكندرية.ومغادرته مصر:

أنهى الإسكندر زيارته لسيوة.. وعاد أدراجه إلى الأسكندرية.. وبعد بضعة شهور.. ترك مصر كلها متجهاً نحو الشرق في ربيع سنة ٣٣١ق.م ليكمل باقى فتوحاته.. وقبل أن يبرح الإسكندر مصر.. أوفد بعثة علمية إلى السودان لتقصي سبب فيضان النيل بموجب توصية أستاذه أرسطو قاصداً بابل لملاقاة الجيش الفارسي ثانية بعد أن أعاد تنظيمه وتولى قيادته الملك الأكبر بنفسه.. وقام بتنظيم البلاد تنظيماً دقيقاً.. فمنحها استقلالاً داخلياً.. ووضع وادي النيل تحت أمرة حاكمين أحدهما على الأقل مصري.. في حين وضع الأقاليم المتاخمة للدلتا تحت إشراف رجلين من الإغريق.. وأمر الجميع أن يرعوا في حكمهم التقاليد المصرية القديمة وتحصيل الضرائب وتسليمها إلى (كليومنس) النقراطيسي.. وكان أحد الحاكمين الذين عينهم الإسكندر وأوكل إليه أيضاً الإشراف على إنشاء الإسكندرية.



الفصل الرابع : الحملة ونهايتها

وفي طريقه عرج على سورية.. حيث قام بتعيين أحد قادته ويدعي (لاومدون) والياً عاماً على سورية الكبرى.. وجعل له معاونين في إدارة المال والجيش.. كما عين (اسكلبيودوروس) حاكماً على دمشق وأنشأ فيها مركزاً للتفتيش المالي.

ولا يعرف سبب لذلك أكثر من خشية الإسكندر من طموح من يحكم مثل هذه الرقعة الهائلة من الأرض وهو ما دفعه لأنه يكوّن من أراضي الجزيرة (السورية) ولاية جديدة.. وفي الوقت الذي كان الإسكندر يصدر أوامره بتثبيت معظم ملوك الساحل السوري على عروشهم كان قائده بارمنيون يقيم جسراً على نهر الفرات حيث كان (مازايوس) والي سورية الفارسي يرابط على الضفة الغربية على رأس قوة فارسية صغيرة.

ما وراء الفرات:

وتؤكد معظم الدراسات الحديثة أن القيادة الفارسية بذلت جهوداً مضنية خلال سنة ونصف في سبيل إعادة إنشاء جيش يتمكن من الصمود في وجه جيش محترف تقوده عبقرية فذة.. ورغم أنها حققت بعض النجاح في هذا المجال إلا أنها لم تتخذ الخطوة الأكثر ضرورة وحسماً وهي تنحية الملك دارا نفسه عن القيادة العسكرية في ساحة القتال.

وفي (يوليو) سنة ٣٣١ق.م لحق الإسكندر بقائده بارمنيون -وكان يرابط على ضفة الفرات الغربية- وعبر الفرات ثم الدجلة بدون مقاومة.. ثم اتجه صوب قرية صغيرة تدعى (جاوجميلا) (موقع تل جومل على بعد حوالي ٥٠طك شمالي اربيل) حيث كان دارا قد عسكر على مقربة منها على رأس جيش كبير تسانده عدد من العربات المنجلية وخمسة عشر فيلاً هندياً مدرباً على القتال.

وأفلح جيش الإسكندر في الحصول على نصر كبير بعد معركة ضارية.. فرَّ على أثرها دارا.. وزحف الإسكندر على بابل حيث سلم له مازايوس وكان قائداً بارعاً حارب بكفاية وإخلاص في معركة جاوجميلا.. ولكن فرار الملك من المعركة ترك في نفسه أعمق الأثر. وقد أكرم الإسكندر هذا الرجل وعينه والياً على بابل.. وكان هذه هي أول مرة يسند فيها الإسكندر مثل هذا المنصب إلى فارسي.. ولكنه الإسكندر عين إلى جانبه قائداً عسكرياً مقدونياً.. وكذلك مشرفاً على الشؤون المالية. وعندما سلم إلى الإسكندر عدد من قادة الفرس البارزين عيّن منهم سبعة عشرة ولاة.. ولكن الإسكندر أعطى مازايوس دون غيره من الفرس الذين أقامهم حكاماً على بعض الولايات حق سك النقود. وإزاء الترحيب الذي قوبل به الإسكندر في بابل أمر بإلغاء جميع قرارات الملك الفارسي اكسركس التي أبطلت العادات والتقاليد البابلية. وبعد ذلك تابع الإسكندر تقدمه نحو سوسا حيث عين عليها والياً فارسياً آخر.

ثم سارع صوب برسبوليس واستولى عليها.. وغنم من كنوزها ما قدر بمائة وثمانين ألف تالانت.. ولا يعرف السبب الذي دعاه بعد ذلك إلى الإقدام عامداً متعمداً -برغم نصيحة بارمنيون- على إحراق قصر اكسركس.. وإن كان بعض المؤرخين يعتقدون أنه أراد أن يكون هذا العمل عبرة لآسيا وإيذاناً بأنه تم الأخذ بثأر المعبد البابلي العظيم الذي خربه اكسركس قبل حوالي قرن من الزمن.

وعندما علم الإسكندر بأن دارا يعد العدة لمتابعة القتال في (اكباتانا) -وكان قد فرّ إليها بعد معركة جاوجميلا- أسرع لملاقاته قبل أن يُتم استعداداته ولكن قادة دارا تآمروا على مليكهم بعد يأسهم من قتال الإسكندر واغتالوه بزعامة (بارسانتس) قبل وصول الإسكندر إليه بوقت قصير.. فأمر بأن تدفن جثة غريمه في احتفال ملكي مهيب.

وكان من جراء اغتيال الملك الأكبر بعد الهزائم التي نزلت بالفرس وتفرق كلمتهم أنه لم يعد في وسعهم بوصفهم دولة.. مجابهة الإسكندر . وهكذا طويت إلى حد كبير آخر صفحة من صفحات الإمبراطورية الفارسية وبدأ حكم جديد للمنطقة تحت رعاية حكام جدد يمثلون حضارة جديدة.

وكذلك كان من جراء انتصارات الإسكندر واغتيال دارا أن الإسكندر أصبح هو الملك الأكبر بحق الفتح ودعا نفسه «سيد آسيا».. وتبعاً لذلك أصبح من حقه أن يُعامِل كل من يقاومه معاملة العصاة الخارجين على سيد البلاد حتى ولو كانوا من العناصر الوطنية.. ولذلك فإن الولاة الفرس الذين قدموا له فروض الولاء عفا عنهم وثبتهم في مناصبهم.. أما الذين قاوموه ووقعوا في الأسر فإنه أعدمهم.

ومما هو جدير بالملاحظة أنه منذ مقتل دارا دأب الإسكندر في المناسبات الرسمية على ارتداء الثياب الفارسية وإتباع المراسم الفارسية بازدياد مطرد.

والمهم في الأمر.. أنه بعد أن أمّن الإسكندر مؤخرته باستسلام ولاة الهضبة الإيرانية وفرار بعضهم الآخر.. اتجه شمالاً باتجاه باكترية لاقتفاء أثر هؤلاء. وفي طريقه بلغ الإسكندر نبأ استسلام (ساتيبارزانس) والي آريه.. فعفا عنه وثبته في ولايته وأرسل إليه أحد قواده لمرافقته وإن لم يزوده بقوات كافية.. دليلاً على رغبته في إتباع سياسة جديدة تقوم على أساس الثقة بالولاة الفرس. وعند وصول الإسكندر إلى (بلخ) بلغه تمرد ساتيبارزانس.. مما اضطره إلى العودة جنوباً وإخضاع آريه ثانية رغم فرار ساتيبارزانس بصعوبة. وعلى مقربة من إحدى المدن الهامة التي تدعى (ارتاكوانا) أسس أول مدينة حملت اسمه شرقي الدجلة. وفي طريقه باتجاه باكترية توقف الإسكندر في المقر الملكي الفارسي في (فرادا) حيث حاكم فيلوتاس -أحد أفضل ضباطه- بتهمة الخيانة لشخص الإسكندر وأعدمه.. كما أصدر في السنة نفسها ٣٣٠ق.م أمراً باغتيال أعظم قادته بارمنيون للشك الذي خامر الإسكندر حوله والأقاويل التي حيكت حول تصرفاته السابقة.

وبعد إعادة تنظيم بعض فرق الجيش أخضع الإسكندر كلا من ولايات الهند الشمالية والشمالية الغربية.

وبحلول سنة ٣٢٨ق.م نجح الإسكندر بعد جولة مثمرة في شمال شرق الهضبة الإيرانية في فرض سيطرته على كافة الأصقاع التي دانت في فترة سابقة للمتمردين من بدو الساكا والصغديين والباكتريين.. وأهمهم (أوكسو أرتس) الذي استسلم رجاله للاسكندر بعد مقاومة عنيفة ووقعت أسرته في الأسر بما فيها ابنته (روكسانا) التي تزوجها الإسكندر فيما بعد متابعاً بذلك سياسته التي أفضت إلى سوء التفاهم وفقدان الثقة بينه وبين الإغريق والمقدونيين. ذلك أن هذا الزواج كان زواجاً سياسياً محضاً قصد به إظهار احترامه للعرق الفارسي بصورة خاصة.. واسترضاء الأمراء الشرقيين.. ووضع حد للحرب القومية بصورة عامة.

وإلى حين اغتيال دارا واستيلاء الإسكندر على العاصمة الفارسية اكباتانا في صيف سنة ٣٣٠ق.م كان الإسكندر ملكاً مقدونياً وقائداً لحلف كلفه بمحاربة الفرس.. وقد بلغت هذه المهمة غايتها في تحطيم الدولة الفارسية.. ولعل الإغريق بحلفيهم شعروا بأنه لا علاقة لهم باستمرار زحف الإسكندر شرقاً.. وخاصة عندما رأوه ماضياً في اتخاذ بعض الخطوات التي أشعرتهم وأكدت قناعتهم بان الإسكندر لم يعد مليكهم فقط بل أصبح ملكاً آسيوياً.. ذلك أن الإسكندر عني باحترام رعاياه الجدد من الشرقيين (مصريين وسوريين وبابليين وفرس) لإيمانه بأن التفرقة بين الناس في المعاملة يجب أن تقوم على أساس فضلهم وليس جنسهم.. وقناعته بأنه على الرغم من تأخر بعض مظاهر حضارات هذه الأقوام عن الحضارة الإغريقية.. فإنه من الممكن تحضير هؤلاء والاستفادة من مقوماتهم الحضارية القائمة.. وهي عكس الفكرة التي كان ينادي بها أرسطو كما أسلفنا.. ودان بها الإغريق بوجه عام.

وقد ضاق رفاق الإسكندر بما لاحظوه من أنه لم يكتف بإقامته ولاة من الفرس بل أنه دَرَجَ منذ وفاة دارا على التشبه بملوك الفرس في المناسبات العامة ثم شَفع ذلك بزواجه من فارسية.. وأعقب ذلك بإعداد العدة لتدريب عدد كبير من شباب الفرس على النهج المقدوني في القتال.

وعلى أية حال.. فقد كان من شأن هذه التصرفات التي قام بها الإسكندر أن تخيل رفاقه من المقدونيين والإغريق -نظراً لعَجزهم عن فهم المغزى الحقيقي الذي رمى إليه الإسكندر- أنه تحول إلى ملك فارسي.. ورأوا أن من واجبهم إيقافه عند حده مما تسبب له في كثير من المتاعب كانت أولاها مؤامرة (فتيان القصر) وهي التي ارتبط بها اسم (كاليسثنس) والذي حكم عليه بالإعدام مع بقية المتآمرين.

وبيان ذلك أن أحد فتيان الحاشية ويدعى (هرمولاوس).. تآمر ونَفَرْ من زملائه على حياة الإسكندر.. بإيحاء من كاليسثنس الذي أثبت التحقيق أنه ردد على مسامعهم تحبيذه قتل الطغاة.. ولعل مجرد حدوث هذه المؤامرة يكفي للدلالة على عجز رفاق الإسكندر بما فيهم أنضجهم عقلاً وأكثرهم ثقافة مثل كاليسثنس عن تفهم مرامي الإسكندر السياسية.

ولم يكن من شأن التآمر على حياة الإسكندر أن يصرفه عن المضي قدماً في اتجاهه. ذلك أنه حين كان لا يزال في باكترية خطا خطوتين في هذا الاتجاه أحداهما هي انه وضع فرقة الفرسان الملكيين تحت قيادته الخاصة.. وضم إليها قلة من أبناء نبلاء الفرس والخطوة الأخرى هي أنه أعاد جميع فرسانه البلقانيين إلى بلادهم عدا التراقيين منهم واستبدل بالذين أعادهم فرساناً من الشرقيين ممن استبسلوا سابقاً في مقاتلته قبل إخضاع ولاياتهم ثم أخلصوا في خدمته.. وهو أمر يعكس مدى ثقة الإسكندر بنفسه وبسياسته.

الإسكندر يغزو الهند:

وبعد إعادة تشكيل قواته في مدينة (تاكسيلا) أصدر الإسكندر أوامره إلى هذه القوات -التي بلغت حوالي ثلاثين ألفا- بالتحرك باتجاه الهند التي لم يكن يعرف عنها إلا معلومات ضئيلة لقنه إياها أستاذه أرسطو.. ولم يكن مدلول الهند عند الإسكندر عندما غزاها أكثر من إقليم البنجاب.. ولما كانت هذه (الهند) جزءاً من إمبراطورية دارا الأول فإن غزوها كان أمراً ضرورياً لاستكمال فتح هذه الإمبراطورية.

وفي بداية صيف سنة ٣٢٧ق.م .. خرج الإسكندر من مدينة« باكترا » وفي طريقه صوب كابول قدم له بعض زعماء المنطقة عدداً من الأفيال هدية لمتابعة حربه بعد أن يئسوا من مقاومته.. واستطاع في فترة وجيزة بما أوتي من روح معنوية عالية وكفاية حربية مهارة دبلوماسية اكتساح معظم الأقاليم المتاخمة لمملكة (باورافا) شمال غربي الهند.. وكان ملكها (بوروس) قد تحالف مع بعض الحكام المجاورين.. وبعد أن أعاد الإسكندر تنظيم فرسانه.. فاجأ غريمه بوروس -الذي عسكر بالقرب من أحد الأنهار- بحركة التفاف سريعة أفقدت قواتَه وفيّلَتِه قدرتها على القيام بأي هجوم معاكس مجدي.. وانتهت المعركة بهزيمة قوات بوروس بعد استبسالها في المعركة استبسالاً منقطع النظير.. ونظراً لشدة إعجاب الإسكندر بشجاعة بورس وقواته فإنه عرض عليه أن يصبح حليفاً له وحاكماً وطنياً يتمتع بقسط من الرعاية والحماية.. فوافق بوروس على هذا العرض.. كما بارك مساعي الإسكندر لإصلاح ذات البين بينه وبين حليف هندي آخر للاسكندر المدعو (تاكسيلاس) ويبدو أن الإسكندر قد خشي بعد ذلك من قيام أحدهما أو كلاهما بثورة على سلطته.. فحاول أن يبذل قصارى جهده لإقرار موازنة بين قوات وممتلكات كل من الطرفين.

نهاية الحملة:

وابتدأ مشاق الزحف الهندي مع بداية فصل الصيف.. وعندما أصر الإسكندر على متابعة مسيره لاستكمال سيطرته على بعض الشعوب التي لم تعلن ولاءها.. تمرد الجيش وقد أنهكه التعب وأضناه اشتداد الحرب والحنين إلى الوطن. ورغم استياء الإسكندر من تصرف قواته واعتكافه لمدة ثلاثة أيام في انتظار عدول الجيش عن تمرده ومتابعة المسيرة.. قرر في النهاية العودة وسط تهليل الجنود وفرحتهم.. وبعد عناء شديد في طريقي العودة البري والبحري وصل الإسكندر وجيشه إلى مدينة سوسا الفارسية في ربيع سنة ٣٢٤ق.م.

وفي سوسا.. أقام الإسكندر وليمة كبرى احتفالاً بإتمام غزوه للإمبراطورية الفارسية.. وفي هذا الحفل عقد قرانه مع ثمانين من ضباطه على فتيات وسيدات من نبيلات الفرس.. كما عقد قران ١٠.٠٠٠ من جنوده على فارسيات.. ومما يجدر بالذكر أن الإسكندر وصديقه هيفايستيون تم زفافها إلى ابنتي دارا.. وكانت (بارسيني) من نصيب الإسكندر.. وكان هذا الإجراء بمثابة خطوة أخرى نحو تقوية أواصر الرباط بين الشرق والغرب عن طريق المصاهرة.

وقلق الإغريق والمقدونيون من تصرفات الإسكندر -وهي التي جعلته يبدو لهم ملكاً فارسياً أكثر منه مقدونياً- وتفاقم خلافهم معه تفاقماً شديداً وبخاصة عندما جاء حكام المدن الجديدة التي بناها الإسكندر أو غزاها ومعهم ثلاثون ألفاً من الفرس الذين تدربوا على النهج المقدوني للانخراط في صفوف الجيش.. ذلك أن رجال الإسكندر ربطوا بين هذه الظاهرة والظواهر الأخرى التي مرذكرانها من قبل واعتبروها دليلاً على استشراق الإسكندر.. ولكنه لم يعر ذلك اهتماماً ومضى في طريقه وكأن شيئاً لم يكن.

العفو عن المغضوب عليهم:

وفي هذه المرحلة (٣٢٤ق.م).. كان الإسكندر قد أصدر مرسومه الشهير الذي وجهه إلى المدن الإغريقية في حلف كورنثة.. وفيه يبلغهم أوامره بالسماح للمنفيين السياسيين وأسرهم بالعودة إلى مدنهم.. واستثنى من ذلك مدينة طيبة.. وكان هدف الإسكندر من ذلك استقرار الأوضاع في بلاد الإغريق بالقضاء على الصراع الحزبي في المدينة الواحدة ودرء خطر هذا الحشد الهائل من الرجال المشردين بلا وطن الذين كانوا يعرضون خدماتهم كمرتزقة على من يشاء.

ويتبين من المصادر القديمة أن الإسكندر اتخذ في السنة نفسها إجراءً آخراً وهو أنه طلب إلى مدن حلف كورنثة تأليهه.. ويرى الباحثون أن المقصود بذلك التأليه هو إتاحة الفرصة للاسكندر للتدخل في شؤون الحلف.. لأن الإسكندر رئيس الحلف مقيد بميثاقه.. وأما الإسكندر الإله فإنه لا حدود لسلطته.. وتبعاً لذلك يرجح الباحثون أن هذا الإجراء كان سابقاً وليس لاحقاً لطلبه الخاص بإعادة المنفيين السياسيين.

وبعد ذلك بقليل.. وعندما قرر الإسكندر أن يعيد إلى مقدونية الطاعنين في السن من رجال الجيش.. أكدت وساوس المقدونيين.. وظنوا أن الإسكندر كان يرمي إلى أقصائهم عنه تدريجياً ونقل مركز الإمبراطورية من مقدونية إلى الشرق تمشياً مع سياسته المشرَّبة بروح العطف نحو الشرقيين.. وساعد على تأكيد وساوس المقدونيين ما لاحظوه من اهتمام الإسكندر الشديد وولعه بإنشاء المدن الجديدة والمستقرات العسكرية في كافة أنحاء الإمبراطورية الفارسية.. فقد كان من شأن ذلك تأكيد سياسة المزج والمساواة التي رحب بها الإسكندر ودعمها بالكثير من تصرفاته.. على حين أنها لم ترض كبرياء وأنفة معظم عناصره فرفضوها ضمناً.. وجهراً أحياناً.. ولذا فإن رجال الجيش جميعاً -باستثناء الحرس والفرق الفارسية- ثاروا على الإسكندر وطالبوا بإعادتهم جميعاً إلى أوطانهم.

وغضب الإسكندر غضباً شديداً مما اجترأ عليه رجاله.. وبعد أن أمر رجال الحرس بالقبض على زعماء الفتنة.. ألقى في جموع الجيش خطبة مؤثرة ختمها بتسريح الجيش من خدمته.. وبعد اعتكافه لمدة يومين دعا زعماء الفرس إليه.. وطلب منهم مساعدته على إنشاء جيش قوامه البشري فارسي.. وتسمياته وأنظمته مقدونية.. ونتيجة لهذا التصرف.. وكلماته النافذة فُتَّ في عضد الجيش.. وتراجع عن موقفه وعاد الجميع يطلبون الغفران والسماح.. عفا عنهم الإسكندر.. وتم الصلح الذي ظل مفقوداً بين الإسكندر ورجاله لفترة طويلة.

واحتفالاً بالصلح.. أقام الإسكندر وليمة كبرى اختتمها بإقامة صلاة من أجل السلام متمنياً أن يدوم الوئام والتعاون بين الفرس والمقدونيين وجميع عناصر الإمبراطورية وأن يسود الحب والود والإخاء بين هذه العناصر.. ولعل ابتهاله هذا يُثبت لنا بما لا يدع مجالاً لشك في أن الإسكندر لم يكن مُدَّعِياً في تصرفاته السابقة ولا مداهناً.. ولم تكن غايته الوصول إلى مكاسب سياسية مؤقتة.. بل كانت معظم تصرفاته تعبيراً صادقاً عن إيمان بعقيدة راسخة كما لو كان يحمل رسالة مقدسة وَجَبَ عليه تأديتها على أحسن ما يكون. وبعد الحفل.. أمر الإسكندر بإعادة الجنود القدامى -ويقدر عددهم بعشرة آلاف- بصحبة قائده (كراتروس) إلى مقدونية وبلاد الإغريق محملين بالهدايا.

الفصل الخامس :وفاة الإسكندر

عندما دانت كل هذه الممالك لحكم الإسكندر يبدو أنه قد تضخمت لديه الذات للدرجة التي جعلته يتصرف تصرفات غريبة.. ويسلك سلوكيات اعتبرها القربون منه أنها سلوكيات شاذة حيث رُوِىّ أنه في أواخر أيامه طلب من الجميع تأليهه.. والتعامل معه وكأنه إله.. وابن إله.. كما بتعنيف الآخرين بشدة.. بالإضافة إلي إكثاره في شرب الخمر.. كل هذه العوامل جعلت البعض خاصةً قادة جيشه المقربين يتربصون به.. وقيل أن بعضهم حاول الفتك به والتآمر عليه..

وفي ربيع عام ٣٢٣ (ق.. م) وصل الإسكندر إلى بابل.. وفي بلدة سوسة الواقعة على نهر الفرات في سوريا حالياً قام الإسكندر بنصب معسكره بالقرب من النهر شرق سوريا.. وبعد مدة في شهر يونيو من عام ٣٧٣ (ق.. م)أصيب بحمى شديدة مات على أثرها.. وليلتها اجتمع قادة جيشه حول فراش موته برئاسة برديكاس حامل أختام الملك وقسموا الإمبراطورية فيما بينهم.. كانت مصر من نصيب بطليموس مؤسس أسرة البطالمة التى حكمت مصر بعد ذلك حوالي ثلاثة قرون.. وكان طبيعياً أن يتجه التفكير بعد ذلك إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لدفن الإسكندر.. فحُفِظَ جثمانه حسب رغبته قبل مماته.. وتذكر إحدى الروايات أن الإسكندر عندما شعر بدنو أجله طلب أن يحنط جسده وأن يدفن بمعبد آمون بواحة سيوه وهو المعبد الذي زاره كما قلنا بعد غزوه لمصر.. تستطرد روايات المؤرخين أنه بعد تحنيط الجثمان وُضعَ فى تابوت من الذهب كعادة الفراعنة ثم صنعت له عربة خاصة لنقله.. إذ أن القواد اتفقوا على أن يتم دفنه فى موطنه ببلاد اليونان.. وقد ذكر المؤرخ ديودورم الصقلى أن العربة كانت تحمل محفة محلاة بالذهب والأحجار الكريمة ويجرها أربعة وستون بغلاً برقبة كل منها طوق تحليه الأحجار الكريمة..

وسار موكب الجنازة من بابل حتى وصل بلاد الشام.. غير أن بطلميوس الأول كان حريصاً على أن يدفن الإسكندر فى مملكته إذ أنه كانت هناك نبوءة تقول أن المملكة التى تحوى قبر الإسكندر تعيش قوية مزدهرة.. وعندما علم بطلميوس باقتراب الموكب من حدود مملكته سارع على رأس جيشه لاستقبال الجثمان ونجح فى إحضاره لمصر.. ولما وصل الموكب إلى منف قام بطليموس بدفن الجثمان هناك حسب الطقوس المقدونية

ثم رأى بطليموس الثاني أن ينقل جثمان الإسكندر إلى المدينة التى أنشأها وتحمل اسمه فنقلت رفاته من منف للإسكندرية حيث بُني له قبر كان حسب قول المؤرخين يشتمل على سلم يؤدى إلى فناء مربع الشكل ثم ممر طويل يوصل إلى ضريح تحت سطح الأرض.. والحق بالمقبرة معبد تقام فيه الطقوس الدينية.

وبالقرب من قبر الإسكندر أقام بطليموس الثاني مقبرة لوالديه بطليموس الأول وزوجته.. وكذلك فعل بطليموس الرابع الذي أراد أن يجمع رفات أسرته في مكان واحد.. وتبعه الملوك الذين أتوا من بعده فشأت الجبانة الملكية التى يطلق عليها اسم السيما بمعنى مقبرة أو السوما بمعنى جثمان .

ولكن هناك رواية يؤكدها بعض المؤرخين ذكروا أن هؤلاء الملوك قد آثروا حرق جثثهم كعادة اليونانيين في ذلك الوقت (القرن الثاني قبل الميلاد) فقد ذكر المؤرخ بوليبيوس أن رفات بطليموس الرابع وزوجته قد أحرقت ووضع رمادهما في أوان من الفضة.. ويعارضه مؤرخ آخر يروى أن كليوباترا آخر ملوك البطالمة قد حُنِطَتْ جثتها.. وربما يكون لهذه الرواية نصيب من الصحة لأن كليوباترا قتلت نفسها في القرن الأول قبل الميلاد في الوقت الذي أخذت فيه عادة حرق الجثث تتلاشى عند اليونانيين وحلت محلها عادة تحنيط الجثث ودفنها .

كليوباترا متهمة بالسرقة:

وذكر أحد المؤرخين أن الملك بطليموس الحادي عشر حوالي عام ٨((ق.. م) استبدل التابوت الذهبي الذي وُضع فيه الإسكندر الأكبر بآخر مصنوع من الزجاج.. كما ذكر أن الملكة كليوباترا وكانت في ضيق مالي شديد.. قد جمعت كل النفائس الموجودة بقبر الإسكندر واستولت عليها.. واستبدلتها بمثلها مصنوعة من الزجاج

ومما يؤكد وجود مقبرة الإسكندر الأكبر في الأسكندرية فقد زارها يوليوس قيصر ووقف أمام جثمان الإسكندر متأملا فترة من الزمن.. وكذلك فعل أغسطس أول الأباطرة الرومان (٣ (ق.. م)-١٤م فأنه بعد أن ألقي عليه نظرة أخذ يتحسس جسمه حتى أسقط أرنبه أنفه.. ثم وضع على رأسه إكليلا من الذهب ونثر عليه الزهور.. ولم يكن كراكالا (٢١١-٢١٧م) أقل من سلفيه تكريماً للإسكندر فعندما شاهد جثمانه خلع رداءه وجميع ما كان يتحلى به ووضعها على الجثمان.. ويحكى عن الإمبراطور سبتي موس سيف روس (١٩٣-٢١١م) أنه جمع الكتب الثمينة التى بقيت بمكتبة الإسكندرية ووضعها في قبر الإسكندر حتى لا يكون في متناول اليد وذلك لكي يمنع العلماء في روما من الحضور إلى الإسكندرية للاطلاع على ما تحتويه هذه الكتب من كنوز.

مؤتمر بابل:

عقب وفاة الإسكندر.. عقد قواده في بابل مؤتمراً للفصل في مشكلة ولاية العرش والنظم التي تتبع في حكم الإمبراطورية المقدونية.. وقد تفتحت أمام كل واحد منهم الآمال والمطامح بموجب الموقف الجديد والمفاجئ.

وبعد بحث مسألة ولاية العرش بحثاً مستفيضاً احتدمت في خلال المناقشة وكاد أن يقع صدام مسلح بين الفرسان والمشاة.. وتم الاتفاق على أن يرتقي ارهيدايوس -ابن فيليب الثاني.. من زوج غير اولمبياس- العرش تحت اسم فيليب (الثالث) أيضاً. والاعتراف بحق جَنينْ إذا وُلِد ذكراً في مشاركة فيليب الملك بوصفهما شريكين تحت الوصاية الملكية.

وقرر المؤتمر أيضاً تعيين برديكاس.. وكان أقوى القادة نفوذاً.. قائداً عاماً للجيش ومهيمناً على شؤون الإمبراطورية وتعيين كراتروس وكان عندئذ في طريقه إلى مقدونية لإعادة قدامى المحاربين كما أسلفنا وصياً على الملك وكذلك على طفل روكسانا عندما يولد.. كما قرر المؤتمر توزيع ولايات الإمبراطورية على قواد الإسكندر ليحكموها بوصفهم ولاة من قبل العرش المقدوني.. وإزاء انصراف كراتروس إلى بلاد الإغريق لنجدة انتيباتروس في الحرب الهلينية أو «اللامية».. وكانت نتيجة للثورة التي تزعمتها أثينا بعد وفاة الإسكندر للتخلص من السيطرة المقدونية اغتصب برديكاس الوصاية لنفسه.. وكان لابد من وقوع الصدام بين القادة منفردين أو مجتمعين.

الصراع بين برديكاس ومناهضيه:

وعندما اغتصب برديكاس الوصاية لنفسه.. أخذ يصدر الأوامر إلى حكام الولايات باسم العرش ويطلب منهم الامتثال إلى هذه الأوامر.. ولما كان معظم هؤلاء الحكام ينتمون إلى أعرق الأسر النبيلة في مقدونية.. ويعتزون أشد الاعتزاز بأصلهم العريق وانتصاراتهم الباهرة.. وكان بعضهم يعتبر نفسه جديراً بأن يخلف الإسكندر.. بل أن أقلهم اعتزازاً بنفسه كان لا يمكن أن يسمح بأن يعامل غير معاملة الند للند.. ولما كان لكل من هؤلاء الحكام أطماع شخصية.. فإنه لم يكن هناك مفر من أن يؤدي تضارب الأطماع إلى صراع عنيف ولم ينقض وقت طويل حتى خرج كثير من حكام الولايات على طاعة برديكاس.. ذلك أنه من ناحية.. عندما طلب برديكاس إلى (ليوناتوس) وانتيجونوس فتح بعض أقاليم آسيا الصغرى.. آثر الأول الذهاب لمساعدة انتيباتروس في الحرب اللامية في حين رفض الثاني تنفيذ الأوامر.. وعندما طلب برديكاس إلى انتجونوس تفسير ملكه فرّ إلى انتيباتروس وكراتروس وحثهما على تشكيل حلف للقضاء على برديكاس الذي أصبح يقوم بدور الملك في آسيا على حد تعبير خصومه.

ومن ناحية أخرى تحدى بطلميوس -والي مصر- برديكاس تحدياً صارخاً بإعدام مساعده وكان صديق برديكاس. كما انتهز بطلميوس فرصة وقوع فتنة واضطرابات في قورينايئة (برقة في ليبيا الحالية) واستولى عليها. وأسوأ من ذلك كله أن بطلميوس اغتصب جثمان الإسكندر عندما كان في الطريق لدفنه في مقدونية بناء على قرار مجلس القادة في بابل.. وقام بنقل الجثمان إلى مصر.. ولم يلبث بطلميوس أن انضم إلى الحلف الذي تألف بزعامة انتيباتروس لمناهضة برديكاس.

وهكذا عندما واجه برديكاس حرباً في جبهتين سنة ٣٢١ق.م أسند إلى حليفه (يومنس) -والي كبدوكية- مهمة صد قوات انتيباتروس وكراتروس.. وتولى بنفسه مهمة تأديب بطلميوس.. وكان من أهم مساعديه في هذه الحملة سلوقس -قائد الفرسان-.. وبايثوت -والي ميديه-.. وانتيجنس -قائد فرقة أصحاب الدروع الفضية-.. وكذلك قائد الأسطول.

وقد فشل برديكاس في الاستيلاء على موقع بلوزيون (الفرمل) وهو أول مواقع مصر الحصينة جهة الشرق. وفي المحاولتين اللتين قام بهما لعبور فرع النيل البلوزي فقد الكثير من جنده. وحيث أنه كان صلفاً متكبراً ومكروهاً بين جنوده.. فإن ما مني به من فشل حفز نفراً من ضباطه كان من بينهم سلوقس على اقتحام خيمته والإجهاز عليه بدعم -على الغالب- من بطلميوس.

وقام ضباط جيشه بعرض منصب الوصاية على بطلميوس.. ولكنه أشار باختيار وصيين مؤقتين إلى أن يجتمعوا بأنتيباتروس وكان في طريقه إلى الجنوب لنجدة بطلميوس بعد أن ترك جانباً من قواته بقيادة كراتروس للقضاء على يومنس.. ورغم أن يومنس كان قد أحرز نصراً على جيش كراتروس الذي قتل في المعركة سنة ٣٢١ق.م .. فإنه لم يكن قوياً لدرجة تعقب أنتيباتروس الذي تابع سيره.. واجتمع بالجيش العائد من مصر في (تريباراديسوس)[١] عند (الهرمل) بالقرب من منابع العاصي أو عند (الجوسيه) بالقرب من الزراعة.

مؤتمر تريباراديسوس:

واجتمع قادة الجيش في جو مضطرب تماماً.. إذ أن المشاة المقدونيين كانوا متذمرين تذمراً شديداً لعدم رضاهم عن قتل برديكاس الذي لم يشاركوا فيه وكذلك لعدم حصولهم بعد على المكافأة المالية التي وعدهم بها الإسكندر سابقاً.. وتعقدت الأمور بصورة أكبر وبخاصة عندما اتهمت (زوج فيليب ارهيدايوس) القائد بايثون بإهدار حقوق الملك (المعتوه) ويبدو أنها كانت ترمي إلى إلغاء الوصاية ووضع السلطة التنفيذية في قبضة زوجها أو على الأصح في قبضتها.. بيد أن تدابيرها ذهبت سدى.. فقد قرر المؤتمر إسناد منصب الوصاية إلى انتيباتروس وكذلك الاعتراف بمنصب بطلميوس في مصر.. وتعيين ولاة جدد مكان أصدقاء برديكاس.. وتناولت هذه التغييرات عدداً كبيراً من ولايات آسيا الصغرى والولايات الشرقي.

ولعل أهم مقررات تريباراديسوس التي كانت لها نتائج بعيدة المدى هي:

١- تخلي سلوقس عن منصبه كقائد الفرسان الرفقاء مقابل تعيينه والياً على بابل.

٢- احتفاظ انتيجونوس بولايته أو على الأصح بولاياته في آسيا الصغرى مع تعيينه قائداً عاماً للجيش الملكي في آسيا وتكليفه بإخضاع يومنس.. وحيث أنه تقرر أيضاً نقل كنوز سوسا إلى إحدى قلاع إقليم كيليكية فإن هذه الكنوز أصبحت تحت إشراف القائد العام للجيش.. وعلى هذا النحو توافر لانتيجونوس من الأموال والرجال ما كان يهيء لمثل هذا الرجل الطموح الموهوب والفرصة لتحقيق أطماعه الواسعة.. وهو أمر سيحكم تطور العلاقات السياسية والتحركات العسكرية خلال الفترة التالية من العصر الهيلنستي.

(١) جنوب لبنان

روايات مختلفة لموت الإسكندر:

وتعددت الروايات التي تتحدث عن ملابسات وفاة الإسكندر المباغتة وهو في عنفوان شبابه.. وأوج قوته.. إلا أن أشهر تلك الروايات تتحدث عن موته مسموماً بسم دسه له طبيبه الخاص الذي كان يثق به ثقةً عمياء.. ولم تكن جرعة السم مميتة للدرجة التي تقضي عليه في الحال فبقي على فراش المرض يصارع سكرات الموت حوالي أسبوعين.. واستشعر أنه ميتٌ لا محالة استدعى قائد جيشه « برداكيس » وسلمه خاتمه الخاص.. وطلب من الجنود زيارته في فراشه.. وقيل أيضاً أن الإسكندر كان قد وصلته رسالة تؤكد له أن طبيبه الخاص سوف يدس له السم في الدواء غير أنه استهان بما جاء في الرسالة.. وبلغت سخريته من الرسالة وفحواها أنه أعطاه بنفسه لطبيبه وتناول الدواء كعادته لثقته الشديدة بهذا الطبيب..

وورد في بعض المصادر التاريخية أنه عندما جاء «أوغسطس» للإسكندرية بعد وفاة الإسكندر بحوالي ثلاثة قرون وزار مقبرة الإسكندر وتحسس أنفه وكانت النتيجة سقوط جزء من طرف الأنف وهذا حادث نادر لأنه من الصعب في حالة تحنيط أية مومياء خاصةً إذا كانت تخص ملك أن الأنف أو أي جزء من الجسد لا يسقط بهذه السهولة.. ومن المعروف علمياً وطبياً أن الذي يتناول سماً يحدث له تحلل كامل في جسده حتى وإن تم تحنيط جثمانه .

مثوي الإسكندر الأخير:

يعتقد الكثير من العلماء والمؤرخين أن جثمان الإسكندر نقل بعد وفاته في بابل ببلاد الرافدين إلي مصر أثر تنازع قادته علي مكان دفنه حيث كان كل منهم يريد أن يدفن في الولاية التي يحكمها بعد تقسيم الإمبراطورية التي أنشأها الإسكندر فيما بينهم.. واتفق الجميع في النهاية علي أن يدفن في مصر وتحديداً في سيوة التي نودي بها الإسكندر ابناً للإله آمون لدي المصريين.. إلا أن حاكم مقدونيا برديكاس قام بمعركة قرب دمياط مع قوات بطليموس الأول للاستيلاء علي تابوت الإسكندر ونقله إلي مقدونيا ليدفن هناك.. وهزم برديكاس في المعركة وقُتل لاحقاً إلا أن بطليموس الأول خشي وقتها أن يستمر في دفن الجثمان في سيوة إذ أنه من الممكن أن يأتي أحدهم عبر البحر و يسرق الجثة فيما أن سيوة بعيدة عن العاصمة منف فقرر بطليموس أن تدفن في منف وكان له ما أراد ودُفن الجثمان علي الطريقة المصرية القديمة بعد أن تم تحنيطه.. و من ثم بعد أن نقلت العاصمة من منف إلي الإسكندرية نقل الجثمان ليدفن هناك.. ولتأكيد أن القبر كان في الإسكندرية ذكرت الكتب القديمة أن الأباطرة الرومان من أغسطس إلي كركلا قد زاروه وهو شيء متعود عليه علي مدي ثلاثة قرون.

أين مقبرة الإسكندر؟

ويقول البعض الآخر أن الإسكندر الأكبر توفى فى أحدى رحلاته إلى واحة سيوة وتوج فيه على نهج ملوك الفراعنة ملكاً على مصر فى معبد آمون هناك وأنه دُفِنَ فى واحة سيوة فى معبد آمون شرق مدينة سيوة وبواحة سيوة حيث جبل الموتى الذي يضم مقابر فرعونية ترجع إلى الأسرة ٢٦.

على أى حال نجد أن أقوال المؤرخين جميعها تقريباً أجمعت على شيئٍ واحد وهو أن مقبرة الإسكندر الأكبر فى مصر.. ولكن يبقى السؤال.. أين هي ؟

فى القرن السادس عشر الميلادي جاء شخص يدعى « ليون الإفريقي» إلى الإسكندرية وطاف بأرجائها فوجدها فى حالة يرثى لها.. وليس بها سوى شارع واحد طويل ومبنى على شكل ضريح تحيط به الأكواخ والخرائب وقال فيما ورد من أثره أن هذا الضريح كان يخص الإسكندر الأكبر ويوجد به فيه جثمانه.. وذكر أن مسلمي المدينة كانوا يزورون قبر الإسكندر للتبرك به.. وكان القبر فى وسط المدينة بالقرب من كنيسة القديس مرقص.. وهذا يتفق والمكان الموجود به حالياً مسجد النبي دانيال الذي ارتبط ذكره وذكر مسجده.. والشارع الموجود به كثيراً بذكر الإسكندر ومقبرته.. ويوجد المسجد في أحد شوارع الإسكندرية.. وموجود بنفس الشارع مجموعة من الآثار الرومانية مثل حمامات كوم الدكة القريبة.. أو صهريج مسجد النبي دانيال.. أو آثار البرديسي الواقعة بشارع البرديسي المجاور لسيدي عبد الرزاق الوفائي المقابل للنبي دانيال!!

فما هي حكاية النبي دانيال ؟

حكاية النبي دانيال:

الحقيقة أنه ليس هناك أية صلة تربط الإسكندرية بالنبي دانيال المعروف كأحد أنبياء بني إسرائيل والذى عاش فيما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ومات فى بابل ودفن فيها.. أى أنه عاش ومات قبل إنشاء الإسكندرية بما لا يقل عن ثلاثمائة سنة.. أما دانيال هذا المنسوب إليه المسجد المسمى باسمه فهو الشيخ محمد دانيال الموصلي أحد شيوخ المذهب الشافعي.. الذي قَدِمَ إلى الإسكندرية فى نهاية القرن الثامن الهجري واتخذ من مسجد الإسكندر مقراً له.. ومن هنا جاءت تسمية المسجد.. الذي اتخذ منه مكاناً يُدرِسْ فيه لتلامذته الأصول وعلم الفرائض على نهج الشافعية حتى وفاته عام ٨١ هجرية فَدفن فى المسجد ثم أصبح ضريحه مزاراً للناس وحُرف الاسم من الشيخ دانيال إلى النبي دانيال فحمل المسجد اسمه.

ويشق شارع النبي دانيال وسط مدينة عروس البحر من ميدان محطة مصر إلى ميدان محطة الرمل.. ويعود تاريخه كما يقول علماء الاثار الى تاريخ نشأة المدينة عندما عهد الإسكندر الأكبر إلى مهندسه اليوناني «دينو قراطيس» بتخطيط هذه المدينة حيث وضع لها تخطيطا أشبه بقطعة الشطرنج وهو عبارة عن شارعين رئيسيين متقاطعين بزاوية قائمة تحيط بهما شوارع أخرى فرعية تتوازى مع كل من الشارعين.. وكان شارع النبي دانيال يحده من الشمال بوابة القمر ومن الجنوب بوابة الشمس.. ويقول الدكتور عزت قادوس أستاذ الأثار اليونانية الرومانية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية لـ[1] كان شارع النبي دانيال هو الطريق الرئيسي بالإسكندرية القديمة وكان يطلق عليه اسم «الكاردو دي كومانوس» وكان يضم العديد من المعابد الرومانية ومن بعدها المعابد اليهودية واستمرت أهميته حتى العصور الإسلامية.. ثم تغير اسمه بعد بناء مسجد النبي دانيال الذي كان في الأصل معبَدَا يهودياَ سُميَّ على اسم النبي دانيال أحد المبشرين باليهودية.. وقد أدى وجود العديد من الآثار الرومانية تحت المسجد إلي الاعتقاد بأن مقبرة الإسكندر الأكبر موجودة أسفله ودعم هذه الفكرة وجود الجبانة الملكية في تقاطع شارع النبي دانيال مع شارع فؤاد إلا أنه بعد البحث والتنقيب لم يكتشف أي شيء يخص الإسكندر ولكن تم اكتشاف أنفاق كبيرة من العصر الروماني متصلة ببعضها وكانت مصممة لهروب الملك عند قيام الثورات التي كان يقوم بها أهل الإسكندرية القديمة بحيث يهرب الى خارج البلاد وكان منها ما يؤدي الى البحر المتوسط مباشرة.. وقد وصف المؤرخ الإسلامي المقريزي هذه الأنفاق بأنها من الاتساع والارتفاع أن يسير فيها الفارس ممتطيا جواده رافعا سيفه وهو ما يقدر بثلاثة أمتار.

ويعد مسجد النبي دانيال من أشهر وأقدم المساجد بالإسكندرية.. وهو مزار للعديد من السائحين خاصة الآسيويين الذين يحرصون على زيارة الضريح الموجود أسفل المسجد الذي يقال إنه للنبي دانيال.. وهناك رواية تقول إنه عندما فتحت الإسكندرية على يد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.. عثر الجنود على المكان وعليه أقفال من حديد تحيط بحوض من الرخام الأخضر.. وعند فتحه وجدوا فيه هيكل لرجل ليس على هيئة أهل العصر.. فأنفه طويل ويده طويلة وعليه أكفان مرصعة بالذهب.. فأبلغوا عمر بن الخطاب بذلك فسأل علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.. فقال له هذا نبي الله دانيال.. فأمر عمر بتحصين قبره حتى لا يمسه اللصوص.. إلا أن عدداً من الأثريين يشككون في هذه الرواية ويؤكدون أن الضريح الموجود بالمسجد على عمق حوالي خمسة أمتار هو للشيخ محمد دانيال الموصلي وهو رجل صالح جاء إلى الإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري وقام بتدريس أصول الدين وعلم الفرائض على النهج الشافعي وظل بها حتى وفاته سنة ٨١٠ هـ ودفن بالمسجد الذي يعود تاريخ بناؤه إلي القرن الثاني عشر الهجري.

(١) في حيث خاص أولي به لصحيفة الشرق الأوسط الدولية

ولعل أكثر ما يميز شارع النبي دانيال هو احتواؤه للأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام في سماحة حتى أن البعض يرى أنه احد شهود حرية العقيدة في عروس البحر المتوسط.. فإلى جانب مسجد النبي دانيال ومسجد سيدي عبد الرازق وهو ولي من أولياء الله الصالحين وكان يعطي دروساً في الدين.. يوجد أيضا المعبد اليهودي الذي تتردد عليه الجالية اليهودية بالإسكندرية.. وعلى الجانب الآخر من الشارع توجد الكنيسة المرقسية أقدم كنيسة في مصر وأفريقيا والتي بناها القديس مرقس في القرن الأول الميلادي عام ٤٣م وتوجد بها رأسه.. وقد بات هذا الشارع من أكثر الشوارع حيوية في الإسكندرية بسبب وجود المحال التجارية التي تبيع كل شيء على جانبيه بدءاً من الملابس والأحذية.. انتهاءً بالكتب والأجهزة الكهربائية.. كما يوجد به بعض الأبنية الهامة من بينها مبنى جريدة «الأهرام» في الإسكندرية والمعبد اليهودي الذي يتوسط الشارع والمركز الثقافي الفرنسي الذي أنشيء عام ١٨٨٦.. وبالرغم من ازدحام الشارع الشديد إلأ انه كان دائماً محط إهتمام السفراء الأجانب والكتاب الفرنسيين والمصريين ومن أشهرهم ميشال تورنيه وبرنارد نويل وجمال الغيطاني ومحمد سلماوي وإدوارد خراط وصنع الله ابراهيم وعلاء الأسواني .

ويستمد شارع النبي دانيال أهميته أيضاً من وجوده في غرب منطقة كوم الدكة بما فيها من حمامات رومانية والمسرح الروماني الذي كان بمثابة قاعة استماع كبرى تعقد به أهم الخطب والاجتماعات السياسية والمناقشات العلمية ويعود تاريخه الى القرن الثاني الميلادي وهو الوحيد من نوعه في مصر.. وقد تم الكشف حديثاً عن أكثر من ١٠ مدرجات أصغر حجماً حول هذا المدرج تعد بمثابة قاعات للدروس العلمية وهي عبارة عن ٣ صفوف من المقاعد علي شكل حرف «U» بالانجليزية وعند حافة الانحناء يوجد مقعد المدرس.. ويعتبر شارع النبي دانيال من أشهر المحطات الثقافية في الإسكندرية ليس بسبب كثرة عدد المكتبات فيه فقط.. ولكن أيضاً بسبب باعة الكتب الذين يصطفون على جوانب الشارع في أكشاك خصصتها لهم المحافظة بعد أن كانوا يتناثرون على الأرصفة يبيعون كل أنواع الكتب العربية والأجنبية وفي مختلف التخصصات إلى جانب المجلات والمجلدات القديمة والحديثة.. ساعدهم على ذلك وجود العديد من الجنسيات في المدينة ولهذا فقد ذاعت شهرة الشارع في مجال بيع الكتب في كل أنحاء العالم وعرف بـ«شارع الكتب».

حكاية النفق الموجود تحت جامع النبى دانيال:

وعلى مر الأجيال ساد اعتقاد شديد لدى العديد من الناس أن مقبرة الإسكندر تقع تحت مسجد النبي دانيال على أساس أن هذا المكان هو نقطة تلاقى الشارعين الرئيسين بالمدينة وقد روى أحد اليونانيين من سكان الإسكندرية فى عام ١٩٨٥.. وكان يعمل بالقنصلية الروسية أنه تمكن من أن ينزل إلى سرداب تحت جامع دانيال وهناك شاهد من خلال ثقب باب خشبي قفصاً من زجاج فيه جثة آدمي موضوعه على منصة ويحيط برأسه أكوام من الكتب وملفات البردي.. وظهر من رواية هذا الشخص أنه متأثر بما رواه المؤرخون.. ومن الصعب أن نسلم بوجود قفص زجاجي يبقى سليماً طوال هذه العصور.. وقد ذكر محمود الفلكي فى أواخر القرن التاسع عشر فى كتابه عن الإسكندرية القديمة أن الطريق الرئيسي الممتد من شمال المدينة لجنوبها يتفق وامتداد شارع النبي دانيال الحالي.. وأن نقطة تقاطع الشارعين الرئيسين تقع عند مسجد النبي دانيال.. وأنه وجد السرداب المشار إليه مملؤاً بأكوام الحجارة وقطع الرخام.

وفى نسخة قديمة عن سير القديسين (السنكسار) للذين استشهدوا فى أوائل عصر انتشار المسيحية من أنهم عند إزالة الأنقاض فى المكان المسمى ديماس (كوم الديماس) ويطلق الآن على منطقة كوم الدكة.. لبناء كنيسة هناك فى أواخر القرن الرابع الميلادي.. عثروا على كنز كان يغطيه حجر كبير عليه نقش يرجع تاريخه إلى عصر الإسكندر.

وقد ظهر حديثاً رأى يقول أن الشارع الرئيسي الذي كان يمتد من شمال المدينة إلى جنوبها لا يتفق وامتداد شارع النبي دانيال بل كان إلى الشرق منه.. فى منطقة الشاطبى.. وإذا سلمنا بهذا الرأي فلا بد أن نقطة تقاطع الشارعين الرئيسين كانت قريبة من منطقة باب شرق.. وهناك مقبرة كبيرة من المرمر.. بجبانة اللاتين بالشاطبى.. يظن البعض أنها كانت جزءاً من المقبرة الملكية.

وفي فترة الستينيات والخمسينيات من القرن الماضي حفر الشارع النبي دانيال بسبب ادعاء جرسون يوناني كان اسمه « ستيليوس» أنه عثر على مخطوطات تحدد وجود قبر الإسكندر بشارع النبي دانيال .

وفي أوائل السبعينيات من القرن الماضي.. حوالى عام ١٩٧٢ تقريباً ..تحدث أهالي الإسكندرية عن حادث غريب.. إذ كان عروسان شابان بطريق عودتهما لبيتهما.. يمرَّان بأحد شوارع المدينة الرئيسية.. وعند التقاء الشارع بطريق الحرية غارت الأرض وسقطت خطيبته فيها.. التفت الشاب فلم يجد عروسه بجانبه.. وكان بالأرض حفرة مظلمة.. انحنى فوقها.. وأخذ يصرخ.. طالباً العون.. لإنقاذ عروسه التي «ابتلعتها الحفرة».. والنهاية هي أن العروس لم تعد إلى سطح الأرض.. حيةً أو ميتة..

وكان أهل الإسكندرية يخرجون وقتها جماعات يحيطون بعمال الإنقاذ في انتظار العثور على الفتاة وأعلن عمال الإنقاذ أن الأرض تحت الشارع مليئة بالآثار والغرف والطرق السحرية.. ولم يستطيعوا العثور على الفتاة التى كان اسمها «مرفت».. كما لم يستطع أحد تحديد ما إذا كان عمال الإنقاذ يبالغون فيما قالوا.. أو أن للأمر جانب من الحقيقة .

وقد تصادف أن أعقب هذا الحادث.. أو عاصره.. هوسٌ بالبحث عن قبر الإسكندر.. وكان في مقدمة المهووسين «جرسون» يوناني.. اسمه «ستيليو».. أخذ على عاتقه مهمة العثور على رفات جده.. القائد المقدوني.. مؤسس الإسكندرية.. وأنفق في ذلك كل ما كان يملك.. حتى توقف.. أو لعله مات.. إفلاساً أو يأساً.

الدكتور جان - إيف إمبرور.. مؤسس مركز دراسات الإسكندرية وهو أستاذ آثار فرنسي له مقولة مشهورة يقول فيها أُحفر بأي مكان في الإسكندرية.. وكن واثقاً من أنك لن تعود بيد خالية.. فالمدينة تسبح فوق بحيرات من الآثار.. وهناك دائماً أسفل شوارعها بقايا بيوت ومقابر قديمة.. أو خزانات مياه رومانية.. أو سراديب.. وعندما نبدأ عملية استكشاف.. لا نكون على علم بما سنحصل عليه.. ولكننا نكون واثقين من أن أي مكان نحفر فيه سنجد شيئاً!.. وفي بعض الأحيان.. نحصل على أشياء بحالة جيدة.

وبشكل عام فالامتداد الساحلي للإسكندرية السفلية.. أو الجزء الغارق من المدينة القديمة.. يمتد من أبي قير شرقاً.. إلى أقصى غرب المدينة.. وهناك احتمالات كبيرة لوجود مدنٍ أخرى.. غارقةً.. على طول الساحل الغربي للإسكندرية.. من العجمي حتى مدينة السلُّوم الحدودية.. يغذِّي هذه الاحتمالات وصف المؤرِّخ القديم استرابو لحوالي ٢٨ مدينة ساحلية.. كانت قائمة في هذا الشريط الساحلي.

ويؤكد الدكتور سليم أنطون.. الأستاذ السابق بجامعة الإسكندرية.. ورئيس قسم علوم البحار في منظمة اليونسكو.. سابقاً أن البحر المتوسط هو أعظم متاحف العالم وأغناها.. بما ينتشر في قاعه من سفن قديمة.. وبما يخفي تحت مياهه الساحلية من موانئ ومعابد وقصور.. كانت تزخر بالنشاط.. في عصور قديمة..

وفي كتابه «حضارات غارقة»[1].. وهو أول مؤلَّف في اللغة العربية عن الآثار الغارقة.. أصدرته «دار المعارف» في عام ١٩٦٥.. يقول الدكتور سليم أنطون.. أن قصة أبي قير الأثرية لم تُحكى كلها.. وأن مياه هذه المنطقة لا تزال تحتفظ بكثير من الأسرار.. فتلك المياه تصون أسرار ما تحتضنه من آثار.. بأمانة أكثر - ربما - مما لو انتُشِلت هذه الآثار وتُركت فوق سطح الأرض معرَّضةً لعبث العابثين ونهب الناهبين.

(١)وهو أول مؤلف في اللغة العربية عن الآثار الغارقة .. أصدرته « دار المعارف» في عام ١٩٦٥.

ويضيف رئيس إدارة الآثار الغارقة إن أبا قير منطقة محظوظة.. لأنها جمعت بين الآثار القديمة.. وما يمكن تسميته - مجازاً - بالآثار الحديثة.. المتمثّلة في أسطول نابليون.. فتحت المياه الساكنة لخليج أبي قير - تُعرف المنطقة اليوم باسم البحر الميِّت - يرقد معظم سفن الأسطول الذي نقل نابليون بونابرت وحملته إلى مصر.. فكما هو ثابت تاريخياً.. انتصر عليه أمير البحر الإنجليزي نلسون.. وأغرقه.. في واحدة من أشهر المعارك البحرية.. هي معركة خليج أبي قير.. أو معركة النيل.. كما يسميها المؤرِّخون الأجانب.. ويكفي أن نراجع عدد السفن.. من كل جانب.. وتسليح كل سفينة.. لنستنتج حجم الموقعة.. وليتأكَّد لنا أن المنطقة عامرة بمخلَّفات تلك المعركة.. وهي مخلَّفات لا يعدُّها بعض خبراء الآثار آثاراً.. لأنَّ عمرها لا يزيد - كثيراً - عن مائتي سنة.. فقد جرت وقائع تلك المعركة في صيف عام ١٧٩٨..

كان ذلك الحي الملكي يشغل المنطقة الحالية.. الممتدة من شارع النبي دانيال.. حتى مقابر الشاطبي.. ولم يكن مسموحاً لعامة الشعب بدخول هذا الحي.. فكان الناس يقفون على ربوة عالية في منطقة «كوم الدِّكَّة».. ليتفرَّجوا على قصور حكَّامهم.. ويظهر.. في خريطة الميناء الشرقية.. الجزء الساحلي المغمور من الحي الملكي.. والذي اتَّضحت معالمه بعد عمليَّات المسح الأخيرة.. التي قام بها باحثو إدارة الآثار الغارقة.. التابعة لهيئة الآثار المصرية حيث رصد هؤلاء الباحثون الغوَّاصون.. في الميناء الشرقي بمنطقة «رأس لوخياس» آثاراً لمجموعة من القصور البطلمية.. كما وجدوا جزيرة «أنتيرودس» التي شيَّدت عليها كليوباترا قصرها -وبين الرأس والجزيرة.. وهي مسافة قدرها ٥٠٠ متراً.. وتمتد.. حالياً.. من «جامع إبراهيم».. حتى فندق سيسيل.. وجدوا ما لا يقل عن ٥٠٠٠ قطعة آثار.. بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المباني.. ومنها أرضيات القصور الملكية.. بالإضافة إلى أول مركب خشبية.. يتم العثور عليها كاملةً.. في حوض البحر المتوسط.. وهي من العصر الروماني.. ويبلغ طولها ٣٥ متراً.. وعرضها ثمانية أمتار.. وهي راقدةٌ الآن.. على عمق خمسة أمتار.. في الموقع المقابل لفندق سيسيل.. في ميدان «محطة الرمل» الشهير.. بالإسكندرية.. كما رصد فريق البحث ما يقرب من ١٥٠٠ قطعة آثار متراصَّة.. على جزيرة أنتيرودس.. وموقعاً يُعتقَد أنه معبد للآلهة إيزيس وفيه أعمدة ضخمة.. من نفس نوعية الأعمدة في معبد الأقصر.. وأسفرت عمليات المسح.. أيضاً.. عن اكتشاف ١٧ تمثالاً غارقاً لـ أبي الهول.. ومجموعة كبيرة من أواني النقل والتخزين الفخارية (أمفورات).. تشير إلى كِبر حجم حركة النقل والتجارة في المنطقة.. وقد تكون دليلاً - ضمنياً - على وجود سفن أخرى.. غارقة ومطمورة تحت رسوبيات القاع.. كما رسم الأثريون المنطقة الساحلية المعروفة باسم «تيمونيوم» حيث شيَّدت كليوباترا «قصر التأمُّلات» لمارك أنطونيو!

وقد تمكَّن المشاركون الفرنسيون من التغلُّب على مشكلة فنيَّة اعترضت أعمال الكشف في الميناء الشرقية.. إذ تطلَّب الأمر قراءة النقوش الأغريقية والهيروغليفية.. المحفورة على الكتل والتماثيل الجرانيتية الغارقة.. وقد تعذَّر ذلك.. نظراً لصعوبة الرؤية في هذه المياه (لا يزيد مدى الرؤية.. في أحسن الأحوال.. عن متر ونصف المتر.. فقد ظلَّت هذه المياه.. لعشرات السنين.. تستقبل مخلَّفات الصرف الصحي.. دون معالجة.. من ١٨ ماسورة صرف.. على امتداد حوض الميناء الشرقية.. ولم تكن خطط العمل تتضمَّن انتشال هذه الكتل.. التي تزن الواحدة منها عشرات الأطنان.. وجاء الفرنسيون بمادة كيماوية.. توضع فوق النقوش.. وبالضغط عليها.. تتحوَّل إلى مادة ذات طبيعة جلدية.. وقد انطبعت عليها النقوش.. وبهذه الطريقة.. تيسَّر الحصول على نقوش الكتل الضخمة الغارقة.. وأُرسِلت إلى علماء في السوربون.. حيث تُرجِمت.. وإن كانت الترجمة شابها بعض الأخطاء التي اكتشفها الأثريون المصريون فيما بعد.. وصححوها.

هذا وقد ذكر ابن عبد الحكم أنه زار الإسكندرية عام ٨٧١م وشاهد جامع ذى القرنين أى الإسكندر.. كما ذكر المسعودي أنه رأى أثراً يسمى قبر الإسكندر حين زار المدينة عام ٩٤٤م

وأضاف إن مومياء الإسكندر شيء.. ومقبرته شيء آخر وأنه ليس من المتوقع العثور علي مومياءه أو حتي مقبرته.. فقد أثير كثيراً أن مقبرته مازالت بالإسكندرية.. لكن الأرجح أن المومياء تم نقلها لخارج الإسكندرية.. أما مقبرته فالإسكندر الأكبر له أكثر من مقبرة.. منها مقبرة في بابل مكث جثمانه بها عامين فقط ويقال أن بطليموس قد أخرج جثمانه من هناك حيث توفي ونقله إلي الإسكندرية.. والثانية في (منف) جنوب القاهرة وظل بها ٤٠ عاماً.. ثم مقبرته بالإسكندرية والتي انقطعت كل المعلومات عنها مع بداية القرن الخامس الميلادي.

لكن المؤكد من كل ذلك أن المغامرون والحالمون بكنز الإسكندر مازالوا يبحثون كل حين عن جثمان الإسكندر الذي لا تقدر قيمته التاريخية بمال إن وجد.

الفصل السادس :الحقيقة الغائبة بين الإسكندر الأكبر والإسكندر المقدوني

من أهم النقاط التي أثارت الجدل قديماً ادعاء البعض بأن «الإسكندر الأكبر» هو نفسه «ذو القرنين» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف في الآيات السابق ذكرها.. ومن يروجون لهذا الإدعاء حجتهم في ذلك العثور على بعض تماثيل «الإسكندر»وهو يرتدي خوذة ذات قرنين.. وهو سبب ضعيف.. ونحن نجزم باستحالة ذلك لأسباب منطقية.. فالإسكندر الأكبر ومن خلال استعراضنا عبر الصفحات السابقة لسيرة حياته كان شخصاً وثنياً ملحداً وصل به الحال إلى حد مطالبته للآخرين بأن يألهوه.. وهو بالطبع تصرف لا يصدر من شخص مؤمن.. وموحد.. واسم الإسكندر نفسه لم يرد في القرآن.. وذي القرنين المشار إليه في كتاب الله عز وجل.. هو إنسان مسلم ومؤمن استخدمه ربه عز وجل لنصرة قومٍ ضعفاء.. وعندما ذهب إلى مغرب الشمس واكتشف أنها تغرب فى بئر من طين حدث مًنه ما جاء ذكره في القرآن .

وذو القرنين كان شخصية معروفة جداً في آداب القاطنين الأُول في جزيرة العرب في القرون الوسطى.. وكان معروفاً على الأقل لحاخامات اليهود .

وسيرة ذي القرنين الوارد ذكره في القرآن ذكرت قديماً في مؤلف يدعى تاريخ «سودو كاليسثينيس» وهذا المؤلف ترجم في نسخة شعرية باللغة السريانية تعود إلى ما يقرب من القرن من الزمان قبل عصر رسول الله محمداً ﷺ وهي مؤلف مليء بالمبالغات في وصف إنجازات الإسكندر ويعود إلى العصر الهلنسي والمسيحي المبكّر.. وقد مرت هذه السيرة بإضافات و أعيدت صياغتها عدّة مرّات خلال العصور القديمة والوسطى.

وتنسب بالتحديد إلى شاعر سرياني شهير كان يسمى « يعقوب السروجي» الذي توفي عام ٥٢١ للميلاد وهو أسقف يعقوبي وضع سيرة الإسكندر في قالب شعري.. وفي الترجمة الشعرية تفاصيل مناظرة لما جاء في القرآن عن ذي القرنين كما يتحدث الموضوع عن أن اسم ذي القرنين كان لقباً شائعاً للإسكندر المقدوني منذ القرن الأول للميلاد وقصة السد قديمة أيضاً.. وحجزه لقوم يأجوج ومأجوج.. وهنالك في الحضارة السريالية صوراً تمثل ذي القرنين وعلى رأسه قرنان.. وأخرى لسد يأجوج ومأجوج.. وصورة للنظام الكوني كما هو مذكور في السيرة.. وكما هو مذكور في القران أرض مسطحة.. وشمس تغرب في مياه حمئة.

وفي سيرة ابن اسحق أن السورة الثامنة عشرة من القرآن (سورة الكهف) والتي تضم قصة ذي القرنين.. أوحي بها الله عز وجل إلى نبيه محمد عليه السلام استجابةً لبعض الأسئلة الموجهة من قبل أحبار اليهود المقيمين في المدينة.. الآيات أُوحي بها إلى رسول الله ﷺ خلال فترة إقامته الأولى بمكّة وقبل هجرته إلى المدينة.. طبقاً لما أورده ابن إسحاق.. عندما قلقت قريش من نبوة الرسول ﷺ وذهبوا لاستشارة أحبار اليهود في المدينة باعتبار أن اليهود لهم معرفة أكبر منهم بعلم الكتاب وبأنبياء الله وعلامات النبوة ليدلوهم عما يتأكدون به من صدق محمد في نبوته.. ووصف وفد قريش المكون من رجليّن ابن قبيلتهما للأحبار فقالت لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فأن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وأن لم يفعل فهو متقوّل كذباً وفي هذه الحالة فأمره متروك لتروا فيه أمركم.. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر القديم ماذا كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديثاً عجباً.. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان من نبأه.. وسلوه عن الروح ما هي فأنّ أخبركم بذلك الثلاثة فاتبعوه فهو نبي.. وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم».

ويذكر ابن هشام في سيرته أن محمداً ﷺ لما طرح عليه اليهود الأسئلة الثلاث رد عليهم بأنه ستأتيه الإجابة في صباح الغد.. ولكن انقطع الوحي عن رسول الله محمداً فلم يجبهم في الصباح.. ولا لخمس عشرة يوماً لاحقة.. فبدأت الشكوك تنتاب اليهود في نبوة الرسول.. وبدأ الخبر ينتشر بين أهل مكة.. ثم بعد خمسة عشر يوما نزل الوحي بسورة هي سورة الكهف وهي السورة الثامنة عشرة من القرآن.. تذكر السورة قصة أهل الكهف وهي قصة غريبة عن فتية عاشوا في الزمن القديم ناموا في كهف ما يزيد عن ثلاثة قرون ثم شاء الله لهم أن يبُعثوا.. كما تذكر سورة الكهف أيضاً الروح.. وأخيراً فهي أيضا تذكر قصة ذي القرنين ذلك الرجل الذي تنقل كثيراً ووصل مشرق الأرض ومغربها .

وفي سيرة ابن هشام يتضح أنه خلط بين ذي القرنين والإسكندر الأكبر اليوناني.. إذن فالفكرة العامة لدى بعض المتقولين بالخلط بين الشخصين مصدرها هنا هو سيرة ابن هشام.. وقد تحمس بعض الفلاسفة المسلمين مثل الفارابي وابن سينا والكندي لمفهوم كون ذي القرنين الوارد ذكره في القرآن هو الإسكندر الأكبر.. وقد صاغوا شخصية ذي القرنين في كتاباتهم كملك فيلسوف يوناني.

أوجه التشابه بين (ذي القرنين) والإسكندر الأكبر:

كثيرٌ من العلماء المسلمين عرفوا ذا القرنين بأنه الإسكندر الأكبر.. إلا أن هذا التعريف مشكوكاً في صحته.. وأصبح اليوم موضع نقد بين علماء المسلمين.. ومعظم الباحثين العلمانيين الذين درسوا الإسلام قد اتفقوا في نظرتهم أن هنالك أوجه شبه تثبت الاستنتاج الذي يقول أن ذا القرنين شخصا آخر غير الإسكندر الأكبر.. كما تبنت التقاليد الأسطورية اليهودية والمسيحية الشخصية التاريخية للإسكندر الأكبر واختارت أن تصفه أحياناً بـ «الملك المؤمن الموحد» وفي هذا المضمون اليهودي المسيحي وصلت الإسطورة إلى الجزيرة العربية .. ولهذا ليس من الصعب أن نتفهم كيف انتهى الأمر عند البعض لوضع الإسكندر الوثني في مصاف الصالحين القرآن الكريم .

وهناك علماء مسلمين آخرين مثل المودودي ومولانا أبو الكلام آزاد رأوا أن ذا القرنين هو قورش الكبير وليس الإسكندر الأكبر.. وهذه النظرية لم تطرح إلا حديثاً.. وهي غير مرجحة من قِبل الباحثين من غير المسلمين.. وغالباً بسبب الحقيقة التي تقول أن أي حاكم أو قائد فارسي عاش في الفترة المعاصر للإسكندر الأكبر كان يدين بالديانة الزروانية.. وهي نوع من الزرادشتية.. وهذا لا يجعل منه شخصاً مؤمناً.. أو موحداً بالطبع .

وهناك علماء مسلمون آخرون ذهبوا للقول بأن ذا القرنين هو تُبّع ملك اليمن الذي تصفه بعض كتب التاريخ بأنه كان شخصية غامضة ..

والبعض قال أنه الفرعون مينا أو (نارمر) أحد أوائل الفراعنة وموحد القطرين ..

لكن تبقى الحقيقة في كل الأحوال وهي أن كل هؤلاء لم يكونوا موحدين.. وبالتالي تنتفي عنهم جميعاً أهم سمات (ذي القرنين القرآني) وهي أنه كان إنساناً مؤمناً.

وقد توصل بعض المستشرقين الدارسين للأساطير المسيحيّة هم أيضاً لاستنتاج مفاده أن القصّة القرآنية عن ذي القرنين تناظر بشكل كبير أساطير محددة عن الإسكندر الأكبر توجد في الكتابات الهلنسيّة والمسيحيّة المبكّرة وهنالك أدلّة أثريّة تؤكد أن من يوصف بذي القرنيين هو نفسه الإسكندر الأكبر.. وهنالك أيضاً تأريخ طويل لاستعارة الأديان التوحيديّة لشخصيّة الإسكندر التاريخية في العديد من مناظراتها التاريخية.

بوابات الإسكندر:

تعرف تاريخياً بـ (بوابة قزوين) وظهرت أول مرة في وصف حدث حقيقي قام به الإسكندر عندما لاحق بيسوس في مضيق يقع إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين.. وفي السِير التالية لفتوحات الإسكندر انتقل موقع بوابة قزوين وبوابة الإسكندر لتصبح في الجنوب الغربي من بحر قزوين.. ومسألة بناء الإسكندر بوابات في جبال القوقاز لصد البرابرة الذين وصفهم بأنهم هم أنفسهم (يأجوج ومأجوج) ترددت كثيراً

فقد ذكر المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس الذي عاش القرن الأول للميلاد أن شعباً كان يسمى « اللان » أو (أسكوذيين).. « كانوا يترحلون خلال معبر كان الإسكندر قد سدّه ببوابات حديدية.. ويسجّل يوسيفوس أيضا أن شعب مأجوج.. الماجوجيون.. هم نفسهم السكيثيين..

كما تذكر رسالة القديس جيروم السابعة والسبعين أن مخيمات الهون[1] قد تسرّبت و قطعت الطريق من مايوتيس ـ اسم قديم لبحر آزوف ـ شمال البحر الأسود.. وكانت ديارهم بين تانايس المثلجة والماساجيتيين الهمج في المكان الذي تصد فيه بوابات الإسكندر الشعوب الوحشية في ما وراء القوقاز.

وفي تعليقه على سِفر حزقيال (إصحاح ٣٨) يعرف القديس جيروم الأمم القاطنة في ما وراء القوقاز وقرب بحيرة مايوتيس بحر آزوف بأنهم يأجوج ومأجوج.

كما تتكلّم الأساطير المسيحيّة عن بوابات قزوين المعروفة أيضا بحائط الإسكندر.. التي بنيت من قبل الإسكندر الأكبر لمحاصرة مخيمات جوج وماجوج.. وبالإمكان إيجاد روايات مختلفة للأسطورة.. ووفقاً للقصّة الواردة في التراث المسيحي فإن الإسكندر الأكبر قام ببناء بوابة حديدية بين جبلين يقعان في نهاية الأرض.. ليمنع جيوش يأجوج ومأجوج من تخريب السهول.. والمَلاحظ أن واقعة بناء البوابة لصد يأجوج ومأجوج موجودة في الأُسطوره المسيحية عن الإسكندر.. وفي نسخة شعرية من مؤلف (يعقوب السروجي) المشار إليه من قبل.. والذي كان شاعراً سريانياً وأسقفاً مسيحياً ولد عام ٥١٩ قبل بعثة الرسول (ص).. وتوفي عام٥٢١ .

وورد بالنسخة السريانية رسالة قيل أن الإسكندر أرسلها إلى أمه.. يقول فيها:

« لقد استأذنت المعبود الأسمى.. وقد سمع لصلواتي.. وأمر المعبود الأسمى الجبلين فتحركا واقتربا من بعضهما إلى مسافة ١٢ إيلاً وهنا بنيت.. بوابتين نحاسيتين بعرض ١٢ إيلاً و ارتفاع ٦٠ إيلاً طليتهما من داخل ومن خارج.. حتى لا يمكن لا للنار ولا للحديد ولا لأي وسيلة أن يفكوا تماسك النحاس.. وذلك أن النار أطفئت بملامسته وحطم الحديد.. وضمن المعبر (الشعب أو ما بين الجبلين) بنيت بناءا آخر من الحجارة.. كل منها بالحجارة كان عرضه ١١ إيلاً وارتفاعه ٢٠ وسمكه ٦٠.. وأكملت هذا الجزء وأتممت البناية بوضع مزيج من القصدير والرصاص فوق الحجارة.. وأكساء فوق الكل حتى لا يستطيع أحد أن يخرج من البوابتين.. وقد دعوت البوابتين ببوابتي قزوين.. وقد حُجِزَتّ بواسطتهما إثنان وعشرون ملكاً».. ونمت أساطير حول البوابتين نفسيهما التي قيل أن البوابة الواحدة منهما كانت تمتدّ من بوابتي قزوين إلى معبر دارييل.. ومن معبر دارييل إلى معبر باب الأبواب وكذلك إلى أقصى الشمال بل أنها امتدت إلى أقاصي شرقي وشمال شرقي آسيا.. وكلما امتدت كلما ازدادت في الحجم بل وحملت فعليا جبال(بلاد) قزوين معها .

---

(١) من الشعب الرحالة .

وكما أن هناك شخصيات مهووسة بالبحث كما قلنا عن مقبرة وكنز الإسكندر فهناك شخصيات عديدة على نفس النمط.. وعلى مر التاريخ فرغت نفسها للبحث عن بوابتي الإسكندر. وفي النسخة السريانية من الإسطورة المسيحيّة.. يحجز الإسكندر الأكبر حشود يأجوج ومأجوج خلف بوابة عظيمة بين جبلين مانعاً إياهم من غزو الأرض.. بالإضافة إلى ذلك فقد كتب في الإسطورة المسيحية أنه في آخر الزمان سيدمر الله بوابة السد مما سيسمح لحشودهم بتدمير الأرض.

« قال الرب على لسان الملاك.. بوابة الشمال سوف تفتح في يوم نهاية العالم.. وفي ذلك اليوم سوف يأتي الشر على الخبيث.. وستتزلزل الأرض وسيفتح هذا الباب الذي ـ يا إسكندر ـ قد بنيته.. وسيحل غضب ونقمة عظيمة على بني البشر والأرض.. وسوف تصبح خراباً والأمم المحجوزة خلف البوابة سوف تنهض.. وجيش يأجوج و شعب مأجوج سوف تجتمع معاً.. هذه الشعوب التي هي اشد الناس ضراوة»..

ونفهم من سياق الأسطورة أنه بمجرد فتح بوابة واحدة ممن تمنعان قوم يأجوج ومأجوج سيتمكن هذا الشعب من غزو العالم.. ويجب علينا أن نفهم أن الأسطورة المسيحية كتبت في وقت كان فيه معظم الناس يعتقدون أن الأرض مستوية ومسطحة.. وأنها ـ أي الأرض ـ مسطّحة ومحاطة بجبال عظيمة.. وهذه الجبال كانت هي أيضاً محاطة بشئ من اليابسة يتبعها محيط نتن غدّار وهذا الشريط من اليابسة بين الجبال والبحر المحيط هو المكان الذي حبس فيه الإسكندر يأجوج ومأجوج.. وذلك أنهم لا يستطيعون عبور الجبال وغزو الأرض.. كما تصف الإسطورة

أسطورة الشيخ الحكيم :

قال الشيخ :

ـ انظر يا مولاي الملك لترى أعجوبة.. هذا الجبل وضعه الله كحاجز عظيم..

ـ قال الملك : الإسكندر بن فيليبس كم المسافة إلى نهاية هذا الجبل؟

ـ قال الشيخ: إلى ما بعد الهند كما يبدو

قال الملك: وكم يبلغ هذا الجانب؟

قال الشيخ: « حتى آخر الأرض..

فأخذ العجب بالإسكندر عند استشارته للشيخ.. وعزم على أن يجعل هناك بوابة عظيمة.. وبينما كان يستمع لنصائح الشيوخ السائحين في البلاد كان فكره مشغولاً بأفكار روحيّة.. نظر إلى الجبل المحيط بكل الأرض.. قال الملك ـ من أين تأتي الحشود (يأجوج ومأجوج) لتخريب الأرض وكل العالم القديم؟

فأروه مكاناً في منتصف الجبال..وهو معبر ضيق قد تم تشييده من قبل الله»..

بين الأسطورة المسيحية.. والسرد القرآني

قصة ذي القرنين الواردة في القرآن تصف بلوغ ذي القرنين «مطلع الشمس ومغربها ».. وهناك يلاقي أيضاً ذو القرنين قوماً عند مشرق الشمس ويبيّن أن هؤلاء القوم لا يمتلكون ما يسترون به أنفسهم من الشمس.. يصف القرآن أيضاً مسير ذي القرنين إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس في عين حمئة.. وهي جوانب اتفاق مختلفة مع الأسطورة المسيحية .

وكما قلنا فإن الأسطوره تذكر أن الشيوخ الحكماء قد أخبروا الإسكندر أنه في نهاية الأرض هنالك بحر تشرق الشمس منه شرقا وتغرب الشمس فيه غربا.. وتوصف مياه هذا البحر بأنها منتنة وشديدة الحرارة بسبب حر الشمس عندما تشرق على المياه.. وعندما سمع بطل الأسطورة المسيحية بهذا النظام الكوني من الشيوخ الحكماء ذهب إلى مشرق الشمس وشاهد الشمس تشرق من البحر المنتن .. وطبقا للأسطورة المسيحية وجد الإسكندر في هذا المكان حيث تشرق الشمس من البحر المنتن قوماً لا يمتلكون ستراً من الشمس التي تشرق حرفياً من البحر شديد الحرارة.. وتقول الإسطورة بالنص :

« مشرق (الشمس) يوجد فوق البحر.. و البشر الذين يعيشون هناك يهربون ويختبئون في البحر عند شروقه.. لئلّا يحترقوا بأشعته.. ويمر خلال منتصف السماء إلى المكان الذي يدخل فيه خلال نافذة السماء.. وحيثما يمر هنالك جبال رهيبة.. وهؤلاء الذين يعيشون هناك لديهم كهوف منقورة في الصخر.. وحالما يرون الشمس تمر فوقهم.. يهرب البشر والطيور منه ويختبئون في الكهوف.. وعندما تدخل الشمس نافذة السماء.. يسجدون حالاً ويظهرون الخضوع أمام الله خالقهم.. ثم يرحلون ويهبطون طوال الليل خلال السماوات.. حتى يجدون أنفسهم في المكان حيث يشرق.. فيمتطى كل المعسكر خيله.. وذهب الإسكندر وجنده إلى ما بين البحر المنتن والبحر اللامع إلى المكان الذي تدخل فيه الشمس نافذة السماء.. وذلك أن الشمس خادمة للرب.. فلا تنقطع من الجريان لا في الليل ولا في النهار» ..

كما أن المصادر الأسطورية المسيحية والإسلامية كلاها تذكر أن الإسكندر الأكبر رحل إلى نهاية الأرض.. وبالتحديد إلى نهاية الأرض حيث تغرب الشمس في(المغرب) والمكان الذي تشرق فيه الشمس(المشرق).. هذا الوصف المجازي ساعد المصادر الأسطورية في إيصال الفكرة العامة عن انجازات الإسكندر الأكبر كفاتح.. ففي حالة استواء الأرض وتسطحها فإن وصول الإسكندر لمشرق الشمس ومغربها يعني أنه قد قطع العالم كله.. مع ذلك تبقى الحقيقة المنطقية تتمثل في أن وصف القرآن رحلات ذي القرنين هي مجرد تعابير مجازية لوصف رحلته شرقاً وغرباً.. ولا تعني أن ذا القرنين قد رحل إلى نهاية الأرض المسطّحة.. والقصص المتعلقة برحلات الإسكندر إلى الأطراف الشرقية والغربية من العالم هي تقاليد إسطورية فقط .

فهل هذا التطابق بين الأسطورة.. والسرد القرآني يعني أن الشخصين واحد ؟

نعود لنفس الإجابة السابقة والتي نزعم بأنها فصل الخطاب في اللبث بين شخصيتي « الإسكندر المقدوني ».. وذي القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم.. فالأول كان شخصاً وثنياً ملحداً.. بينما الثاني كان رجلٌ مؤمن.. بل أنه يذكر في بعض الكتابات التاريخية الإسلامية باعتباره كان نبياً.. وإذا كان هناك خلطٌ في التراث المسيحي فلا يعتد به إطلاقاً إذ أن رجال الدين المسيحي الأول قاموا بتحريف الإنجيل الموحى إلى نبي الله عيسى نفسه.. بل وألهوه.. فليس من الصعب عليهم على الإطلاق تزييف ما كتبه أساقفتهم وفي مقدمتهم « يعقوب السروجى » أسقفهم المنسوب إليه تلك الأقاصيص .

الإسكندر الأكبر في التراث الإسلامي:

عَرَفَ بعض علماء المسلمين الأوائل ذا القرنين القرآني بالإسكندر الأكبر عموماً.. وفي القرون التالية اعتبر البعض منهم ذو القرنين نبياً.. ومع الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس وجدت سيرة الإسكندر مكاناً رفيعاً لها في الأدب الفارسي خاصةً إذا أخذنا في الاعتبار عدوانية بلاد فارس القديمة للإسكندر عدوها القومي الذي لم يدمر فقط الإمبراطورية الإخمينية العظيمة ..ولكنه كان سبباً أساسياً لقرون من سيطرة حكام هلنسيين أجانب على بلادهم.. والمصادر الفارسية الإسلامية لأسطورة الإسكندر المعروفة باسم « الإسكندر نامه » هي وبعض المصادر الفارسية عن أسطورة الإسكندر اخترعت نسباً أسطورياً للإسكندر جعل من أمه جارية لدارا الثاني.. وأخاً غير شقيق لآخر الملوك الإخمينيين.. دارا الثالث.. وذلك كوسيلة للاستحواذ على الإسكندر باعتباره ابناً للحضارة الفارسية.. وبحلول القرن الثاني عشر جعله بعض الشعراء ككنجوي نظمي موضوعاً لقصائدهم الملحميّة.. مصورين إياه كنموذج للسياسي المثالي أو الملك الفيلسوف.. واقتبست هذه الفكرة من اليونانيين وطُورِت من قِبل بعض الفلاسفة المسلمين مثل الفارابي.

كيف ظهرت قصة سد ذي القرنين أو بوابة الإسكندر أو بوابة قزوين

تقول الإسطورة انه بني هناك بوابة حديدية لصد الشعوب الهمجية يأجوج ومأجوج ومنعها من تخريب الأرض إلى الجنوب.. ورد هذا في نسخة سريانية من الإسطورة تعود الى مئة سنة قبل عصر الرسول محمد(ص).. البوابة توصف أحياناً إنها بين جبلين في القوقاز.. أو بين جبل في القوقاز و بحر قزوين

ومثل ما وردت قصة البوابة في الأساطير المسيحية وردت كذلك في القرآن.. ثم وردت في كتب الرحالة.. وقد ربط ماركو بولو بين البوابة او السد وبين سور الصين العظيم الذي يمنع الهمج شمال الصين من الهجوم على الصين.. ويقترح البعض إن من الممكن أن هذه القصة قد وردت إلى الشرق الأوسط والغرب مع طريق الحرير وأدت الى نشوء الإسطورة.

إلا أن موقع بوابة الإسكندر عادة ما يعرّف ببوابة قزوين الواقعة في مدينة باب الأبواب أو دربند في داغستان وهي جمهورية روسيّة إسلامية في القوقاز.. أما السد أو البوابة نفسها فعادة ما ترتبط بثلاثين برجاً ممتداً على طول ثلاثين كيلومتراً بين بحر قزوين وجبال قوقاز .. مانعة بذلك عبور جبال القوقاز من هذا المعبر.

وتعتبر باب الأبواب هي الحصن الوحيد الباقي من عصر الدولة الساسانية إذا يعود الى عد كسرى الأول من القرن السادس الميلادي..وبني الحصن لصد قبائل ال كوك تورك (طلائع الغزاة الأتراك).. إلأ ان بناء الحصن نُسبّ إلى الإسكندر الاكبر في القرون اللاحقه .. بعض الباحثين يقترحون أن بعض أجزاء هذه التحصينات قد تعود إلي الفترة الفارسية الاخمينية (القرن الخامس (ق.. م) فمن الممكن ان يكون بعض نواب الإسكندر قد دعم بعض أجزاء التحصيات أو رممها بعد قضاء الإسكندر على هذه الدولة بالرغم ان الإسكندر نفسه لم يصل الى المنطقة .

أين كان موقع سد ذي القرنين حسب اعتقاد المسلمون الأوائل؟

من خلال قصة سلام الترجمان وبعثته إلى سد ذي القرنين خلال فترة حكم الخليفة الواثق نستطيع أن نقول ان موقع سد ذي القرنين حسب اعتقاد المسلمين في ذلك العصر كان موقعاً في القوقاز .. فهو أذن أعتقاد مستمد من قصة بوابة قزوين المذكورة سلفا.

أما قصة سلام الترجمان فهي قصة غريبة أقرب إلى الخيال مع أنها حقيقية كما يبدو.. تبدأ القصة عندما استيقظ الخليفة العبّاسي الواثق (٨٤٢-٨٤٧ م) مذعوراً.. بعد أن رأى في منامه أن سد يأجوج ومأجوج قد فتح وإنهم انتشروا يعيثون في الأرض فساداً.. فأمر الخاص به الترجمان أن يسافر إلى مكان السد .. فخرج من بغداد فعلاً في خمسين فارساً وانطلقا شمالاً حاملين كتاباً إلى ملك أرمينيا فكتب ملك أرمينيا إلى ملك اللان[1] ثم أن ملك اللان كتب إلى ملك الخزر(وكان يهوديًا.. ومركز ملكه في مصب الفولجا في شمال بحر قزوين).. ويقول سلام انه بعد ذلك سار ٢٥ يومًا حتى وصل إلى أرض سوداء ثم سار ١٠ أيام حتى وصل إلى قوم مسلمين كما يبدو.. وهناك شاهد سلامة الترجمان مابين السدّين ورأى عضادتي الباب طول كل عضادة٢٥ ذراعًا وكل ذلك مبني بالحديد وفوق العضادتين رافدة حديدية وفوق ذلك كله بناء السد بالحديد على مد البصر وبطول ١٢٠ ذراعًا.. والبوابة نفسها بعرض ٥٠ ذراعا لكل مصراع .. أما الأقفال فعرض كل منها ٧ اذرع وقس على ذلك.. ويبدوا أن هنالك حراسات على البوابة.. ويبدو كذلك أن أهل المنطقة يسمعون بعض أخبار يأجوج مأجوج ويشاهدونهم أحيانا.. ثم أن سلامة الترجمان عاد بعد ٢٨ شهرًا وطمأن الخليفة وصار يحد أهل بغداد بما رأى والعقل أعلم ما الذي رآه.. والمرجح أنه كان باب الأبواب.. لكن بلا حديد..

(١) أو الأوسيت في القوقاز .. وشعب يمت بصلة بعيدة إلى السكيثيين الذين سموا قديما مأجوج ..

من هو ذو القرنين في نظر المسلمين الأوائل؟

يبدو أن أول من ذكر أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني هو ابن هشام وقال انه بني الإسكندرية.. أما ابن اسحق فمع انه ذكر أن ذا القرنين من نسل يونان إلا انه أعطاه اسمًا فارسيًا .. أما كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور فيذكر آراء مختلفة فمنهم من يقول انه من نسل الضحاك[1] ويقول أن أمه رومية.. .. ومنهم من قال أنه إسكندر بن دارت ملك اصطخر وبابل والمدائن وأيضا جعلت أمه رومية .. وقال عكرمة انه إسكندر من ولد يونان وكان نبيًا .. أما وهب بن منبه فقال انه كان رجلاً صالحًا.. إلا أن تسميته بالإسكندر غالبة وقد تفوقت على كل التسميات الأخرى .. ويبدو أن بعض المؤرخين انتبهوا إلى صعوبة الربط بين ذي القرنين والإسكندر الأكبر فسموا الأول إسكندر ذو القرنين والثاني إسكندر بن فيلبس فنسب إلى الأخير لاحقًا بناء الإسكندرية ومنارتها..

مختصر الرواية الإسلامية عن ذي القرنين كما وردت في كتب التواريخ:

١- بعثه الله إلى أمتان هاويل يمينًا وتأويل يسارًا وأمتان: ناسك غربًا ومنسك شرقًا وغلى يأجوج ومأجوج في الوسط(الأسماء تذكّر بأسماء أبناء يافث في التوراة)

٢- عند ذهابه إلى أمة منسك في مشرق الشمس وجدهم يعيشون في مدينة اسمها جابلقا.. وهم عراة بشعون وليس لهم ستر من دون الشمس فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في سراديب أو أنفاق تحت الأرض .. ويأكلون مما تحرقه الشمس بحرّها.. وعندما تشرق الشمس على البحر يصبح كالزيت لونا من حر الشمس وتخرج الأسماك فيلتقطها الناس. هذه التفاصيل تذكر بلا شك بالإسطورة المسيحية المذكورة أعلاه.. وهذا دليل على اطلاع البعض على المصدر الأساسي للأسطورة.

٣- في مغرب الشمس رأى الشمس تغرب في العين الحمئة.

٤- عند وصوله بين السدين بنا السد كما هو معروف.

٥- دخول ذي القرنين أرض الظلمات .

تمنى ذا القرنين يومًا أن يقضي دهرًا طويلاً في عبادة الله فاخبره ملاك بوجود عين الحياة التي من شرب منها لم يمت إلى يوم القيامة واخبره أنها تقع في الأرض المظلمة .. فقرر الانطلاق إليها مستعينًا بالخِضر وزيرًا.. ورفض أن يدخل معظم الجيش الأرض المظلمة لكن ذا القرنين دخلها في ثلة من جيشه بمعية الخضر يساعده في ذلك خرزة إذا رماها صاحت فيعرف كل فرد موقع الباقين في الظلام.. إلا أن ملاكا دل الخضر وحده فقط على موقع العين فشرب منها وبقيَّ حيا إلى اليوم ولم يشرب ذو القرنين.. ويبدو أن أرض الظلمة كانت مكسوة بالجواهر فاخذ منها بعض من جيش ذي القرنين..

---

(١) هو ملك فارس أسطوري ، قيل أنه كان جبارًا .

٦- دخل بعد خروجه من أرض الظلمة إلى قصر من نحاس فيه طائر فتحاوروا سويًا .

٧- زار إسرافيل وهو حامل الصور.

٨- أخبر المنجمون ذا القرنين أنه سيموت في أرض من حديد سمائها من خشب.. وذات يوم مرض ففرش له جنده الدروع فنام عليها وظللوه بالرماح.. فانتبه إلى أنه ميت لا محالة

الأدلة التي يسوقها من يقولون بأن الإسكندر هو قورش الفارسي:

قورش الثاني الكبير(٥٥٨-٥٢٨(ق.. م).. هو أحد ملوك الإمبراطورية الفارسية الأولى الأخمينية ومدمر المملكة الكلدانية والليدية .. سمح بعودة اليهود إلى فلسطين ثانية.. وفي البداية سمح لهم بإعادة بناء الهيكل إلا أنه تراجع فيما بعد..

وهذه باختصار هي أسباب من يعتقدون بأن ذا القرنين هو قورش الكبير ملك فارس:

يعتبر قورش في سفر دانيال ملكا مؤمنا بإله اليهود.. ويُذكر بخير في الأسفار اليهودية الاخرى كاشعيا.. وقد ورد في سفر دانيال نبوءة ترمز إلى ملوك فارس وميديا[1] بالكبش ذا القرنين [2]من سفر دانيال النسخة الكاثوليكية..كما ورد في نفس الإصحاح ان الكبش ناطحه تيس من الماعز يرمز إلى الإسكندر ملك اليونان.

وورد في سفر أشعياء الإصحاح الخامس والأربعين العدد (١-٦) يصف السفر قورش بمسيح الله وأنه سيفتح أمامه المصاريع ولا تغلق أمامه الأبواب وأنه سيحطم له مصاريع النحاس ويكسر له مغاليق الحديد ويعطيه كنوز الظلمة و يجعله آية على وجود الله لساكني المشرق والمغرب.

وتورد بعض الروايات أيضًا أن اسم ذا القرنين إسكندر بن دارت ملك اصطخر وبابل والمدائن.. واصطخر مدينة بنيت قريبا من أنقاض برسيبوليس عاصمة الأخمينيين.. كما أن قورش فتح بابل وحكمها.. دارت قد تكون تحريفا لدارا وهو اسم بعض ملوك الأخمينيين. كما أوردنا الاسم من قبل .

في ما ورد أعلاه كلمات تشبه ما ورد في القرآن لكن بالمقلوب .. يعني ان القرنين اخترق البوابات وحطم الحديد والنحاس بدلاً من أن يبنيه.. وإذا كان ملوك فارس ذوي قرنين فإن رمز الإسكندر تيس و للتيس قرنين أيضا.. كما أن الثابت عن قورش أنه كان زروانيا (نوع بدائي من الزرادشتية).. وقبره موجود في إيران .

المسألة ليست فقط من هو الملك المؤمن الذي حكم العالم.. المسألة هي أن الشخص الوارد ذكره في القرآن الكريم من المؤكد أنه شخص آخر غير الإسكندر المقدوني .

(١) شمال إيران .

(٢) الإصحاح التاسع العدد ٢٠.

الفصل السابع : العالم بعد وفاة الإسكندر

بعد وفاة الإسكندر أسس «بطليموس» - أحد قواد الإسكندر – عصر حكم البطالمة فى مصر الذى استمر من عام ٣٢٣ (ق.. م)حتى عام ٣ (ق.. م)وقد ظلت دولة البطالمة قوية فى عهد ملوكها الأوائل.. ثم حَلَ بها الضعفُ نتيجة ثورة المصريين ضدهم من ناحية.. ومن ناحيةٍ أخرى ولضعف ملوكها.. واستغلت روما هذه المنازعات لبسط نفوذها على مصر وقَضت على البطالمة سنه ٣ (ق.. م)أيام حكم الملكة كليوباترا .

وقد بنى البطالمة فى الإسكندرية القصور والحدائق وأصبحت الإسكندرية مركزاً للحضارة حيث ذاعت شهرتها فى مجال الفن والعلم والصناعة والتجارة .. ثم أصبحت الميناء الأول فى البحر المتوسط بفضل منارتها الشهيرة التى اعتبرها الإغريق إحدى عجائب الدنيا السبع .. وقد قامت بالإسكندرية حضارة إغريقية مصرية عظيمة تمثلت فى فيما يلي:

جامعة الإسكندرية:

أنشأها البطالمة ويرجع الفضل في ذيوع شهرتها إلى علماء جامعة الإسكندرية وما توصلوا إليه من حقائق علمية عن دوران الأرض حول الشمس وتقدير محيط الكرة الأرضية.. واشتهرت الجامعة بدراسة الطب خاصة التشريح والجراحة.. ومن أشهر العلماء الذين أنجبتهم جامعة الإسكندرية «إقليدس» عالم الهندسة.. و«بطليموس» الجغرافى و«مانيتون» المؤرخ المصرى.

مكتبة الإسكندرية وأثرها الثقافى :

أنشأ البطالمة فى الإسكندرية مكتبة ضخمة كانت وما زالت رغم اندثارها تعد أعظم مكتبة فى العالم احتوت على أكثر من نصف مليون لفافة بردى.. وقد أمر البطالمة أن يُهدِى كل زائر من العلماء مدينة الإسكندرية نسخة من مؤلفاته وبذلك وصل عدد الكتب بالمكتبة أكثر من ٧ آلاف كتاب .

وقد عمل البطالمة على احترام ديانة المصريين وقدموا القرابين للمعبودات المصرية.. وشيدوا لها المعابد مثل معبد إدفو ومعبد دندرة ومعابد فيلة بأسوان.. وكان البطالمة يظهرون فى الحفلات الرسمية بزى الفراعنة .

وأصبحت العاصمة المصرية «الإسكندرية» أكبر مركز تجارى وصناعى فى شرق البحر المتوسط فى مصر وثانى مدن الإمبراطورية الرومانية وقد استمرت جامعة الإسكندرية فى عهد الرومان مركزاً للبحث العلمى ومقراً للعلماء من شتى أنحاء العالم .



الخاتمة

منذ موت الإسكندر حتى الآن.. كانت حياته وشخصيته وأعماله من أكثر الموضوعات التي طرقها وأفاض في بحثها جميع المؤرخين خاصةً مؤرخو العصر الهيلنستي قدماءً.. ومعاصرين.. ويواكب هذا الفيض من الدراسات اختلافات بيّنة في تفسير وتعليل جانب أو آخر من جوانب وحياة وأعمال هذه الشخصية الفذة تبعاً للفترة التي تم فيها التأريخ أو قدرة المؤرخ الخاصة.. ولكنها رغم كل هذه الاختلافات أجمعت على عظمة الإسكندر وعبقريته سواء في السياسة أو الإعمار كما في الحرب تمامًا.

ولابد لنا في نهاية رحلتنا مع الإسكندر أن نشير إلى بعض أو أهم ما ذكرناه من دوافع كان لها الأثر الأكبر في قيام مُلك غربي في العالم الأدنى.. فلأول مرة في التاريخ بغزو الشرق على رأس جيش صغير نسبياً قياساً على جيوش منافسيه.

ومما لاشك فيه أن الأسس القديمة التي أقام عليها فيليب والد الإسكندر صرح مملكته في مقدونيا والاستعدادات التي جهزها قبل موته.. قد سهلت كثيراً من المصاعب العسكرية أمام الإسكندر وكانت عاملاً مادياً مهماً جداً.

وأسهم في تيسير مهمة الإسكندر فوزه برئاسة تحالف بلاد الإغريق تحت إمرته.. على نحو ما مر بنا سابقاً.. ولا يغيب عن البال أن الإسكندر ورث عن أبيه حُلم محاربة الفرس تحقيقاً لدعوة ايسوقراط وكان من أشهر فلاسفة الإغريق وخطبائهم في القرن الرابع. .. ذلك أن هذا الفيلسوف كان قد اتجه إلى عدد من قادة بلاد اليونان وأخيراً إلى فيليب مناشداً إياه تحقيق الدعوة التي لم يمل عن ترديدها على مدى نصف قرن تقريباً.. ولكنها ذهبت هباء وسط انهماك المدن الإغريقية في صراعاتها الدموية التقليدية.. وفحوى هذا تتمثل في كون الإغريق وبشكل خاص أثينا واسبرطة يسعون للثأر من البرابرة والسيطرة عليهم بدافع سمو الحضارة الإغريقية على ما عداها.. وإنشاء مدن في الأقاليم التي تقهر.

ولاشك أن حث أرسطو للإسكندر على الإطلاع والبحث عن المعرفة كان دافعاً آخر من دوافع الحملة الشرقية بدليل اصطحابه معه عدداً كبيراً من العلماء والمتخصصين في مختلف فروع المعرفة.. وهو الأمر الذي لم نعهده في غزوات الملوك السابقين تاريخيًا على الإسكندر.

وفي رأي بعض المؤرخين أن أرسطو لم يوح إلى الإسكندر بالقيام بحملته الشرقية وتكوين إمبراطورية عالمية.. ومرد هذا الرأي-فيما يبدو- إلى أن ما فعله الإسكندر كان مجافياً لأفكار أرسطو وهو الذي لم يكن يقر قيام دولة أوسع نطاقاً من الجمهوريات الصغيرة الإغريقية.. ولا المساواة بين الإغريق «والبرابرة» في المعاملة.. وإذا كان من الجائز أن أرسطو لم يوح إلى الإسكندر بمحاربة الفرس.. فإنه يجب أن نلاحظ أن أرسطو كان يعتبر هذه الحرب حرباً عادلة.. وأن الصلة لم تنقطع بين التلميذ وأستاذه إلا عندما خرج التلميذ على تعاليم أستاذه في معاملة «البرابرة».. وهو أمر اعتبره بعض المعاصرين له كفراً بحق الحضارة الإغريقية المتميزة .

ويجب ألا يفوتنا هذا التنويه بأنه كانت تحت إمرة الدولة الفارسية موارد لا تنضب من الأموال والرجال.. ولديها أسطول ضخم يسيطر على الحوض الشرقي للبحر المتوسط.. غير أنه كان يقلل من شأن ذلك كله.. ويُغري على غزو هذه الدولة أنها كانت تفتقر إلى القادة المحاربين وإلى ما أحرزه الإغريق والمقدونيون من تقدم في فنون القتال خلال النصف الأول من القرن الرابع.

ومع ذلك فإن كثيراً من المؤرخين يهونون من قيمة هذه النقائص.. وكذلك إمعاناً في إضفاء المزيد من صفات العظمة الخارقة على انتصارات الإسكندر السريعة. ذلك أنه من غير المعقول منطقياً أن يقوم أي ملك مهما بلغت درجة جرأته أو تهوره بتدبير هجوم على دولة تفوقه بقدر هائل من حيث العدد والعدة.. وتسيطر على موارد ومقومات عسكرية ضخمة دون الوقوف على ما يؤكد له ولو إلى حدٍ ما.. أنه في هذه الدولة من عناصر الضعف ما يهيء له فرصاً معقولة للانتصار عليها.. وهذا أمر لا شك أنه توافر للاسكندر بشكل أو بآخر.



أهم المصادر:

- د.. فوزى الفخرانى رحلتي مع قبر الإسكندر الأكبر.

- دراسات في تاريخ أوربا الحديث والمعاصر / فاروق عثمان أباظة.. إسكندرية.. دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ ..

١.. إيدرس بل.. مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي.. بيروت.. ١٩٨٨..

٢.. السير جون هامرتن.. تاريخ العالم.. القاهرة.

٣.. لطفي عبدالوهاب يحيى.. دراسات في العصر الهلنستي.. بيروت.

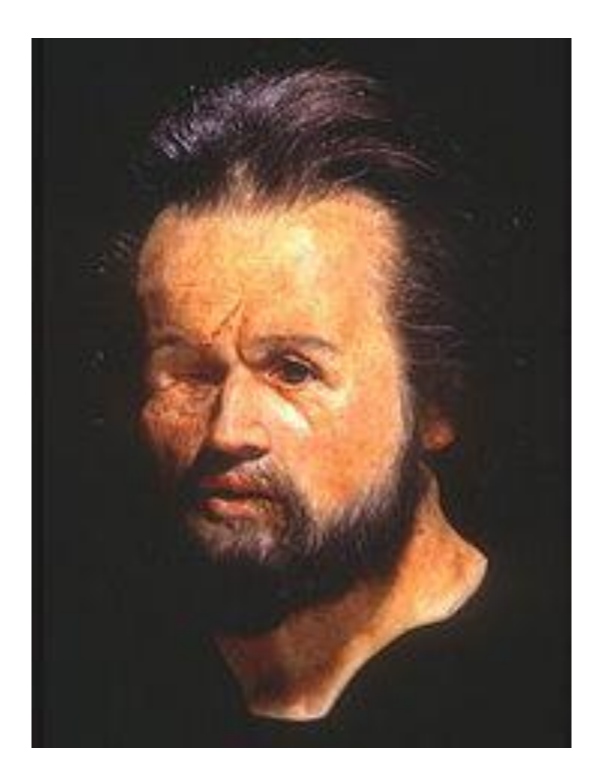
٤.. مصطفى العبادي.. العصر الهلنستي مصر.. بيروت.. ١٩٨٨.

٥.. نسطور ماتساس.. مذكرات الإسكندر الأكبر.. تونس.. ١٩٨٩.

٦.. وول ديورانت.. حياة اليونان.. ج٢.. تونس.. ١٩٩٨.



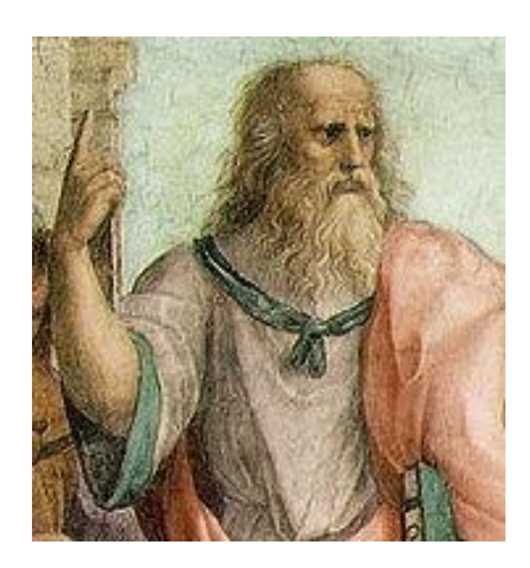
ملف صور



صورة تم إعادة تشكيلها لفيليبوس الثاني والد الإسكندر



بركليس



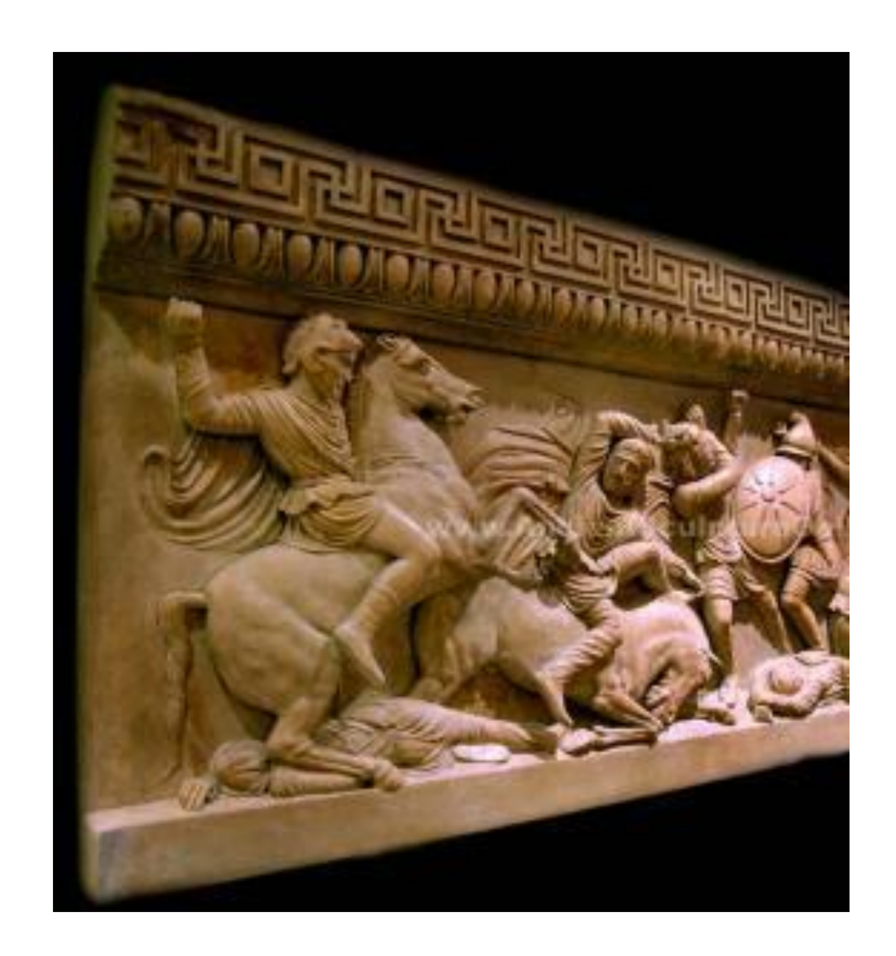
أفلاطون



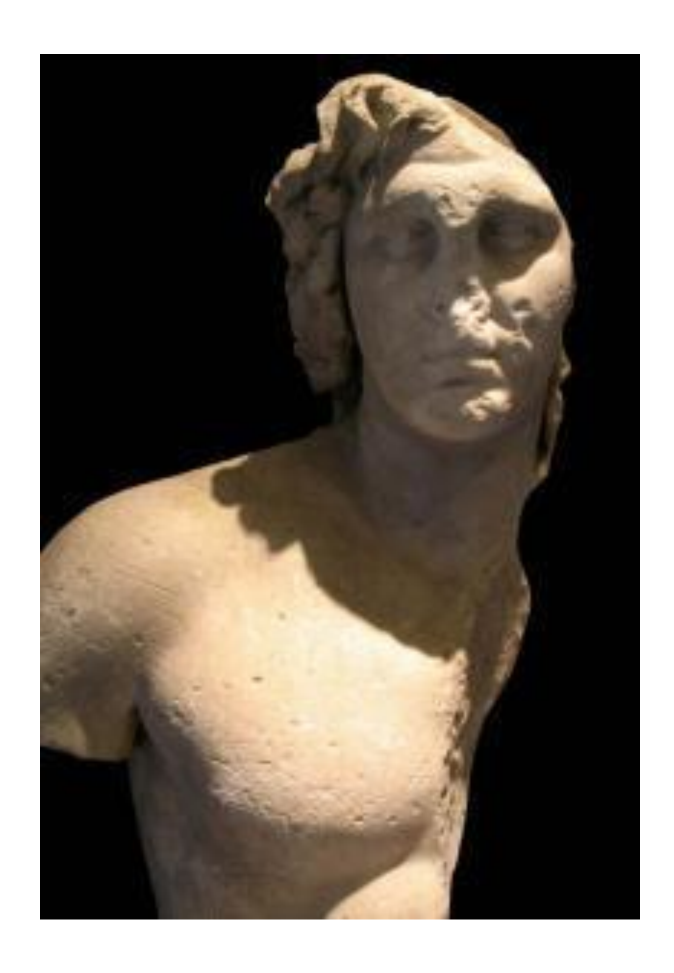
هذان القرنان الواضحان لآمون في الصورة هما سبب تسمية الإسكندر بذى القرنين



عملة ذهبية عليها وجه الإسكندر الأكبر



الإسكندر الأكبر في إحدى معاركه



بقايا تمثال يمثل الإسكندر الكبير



قناع الإسكندر

فهرس الكتاب